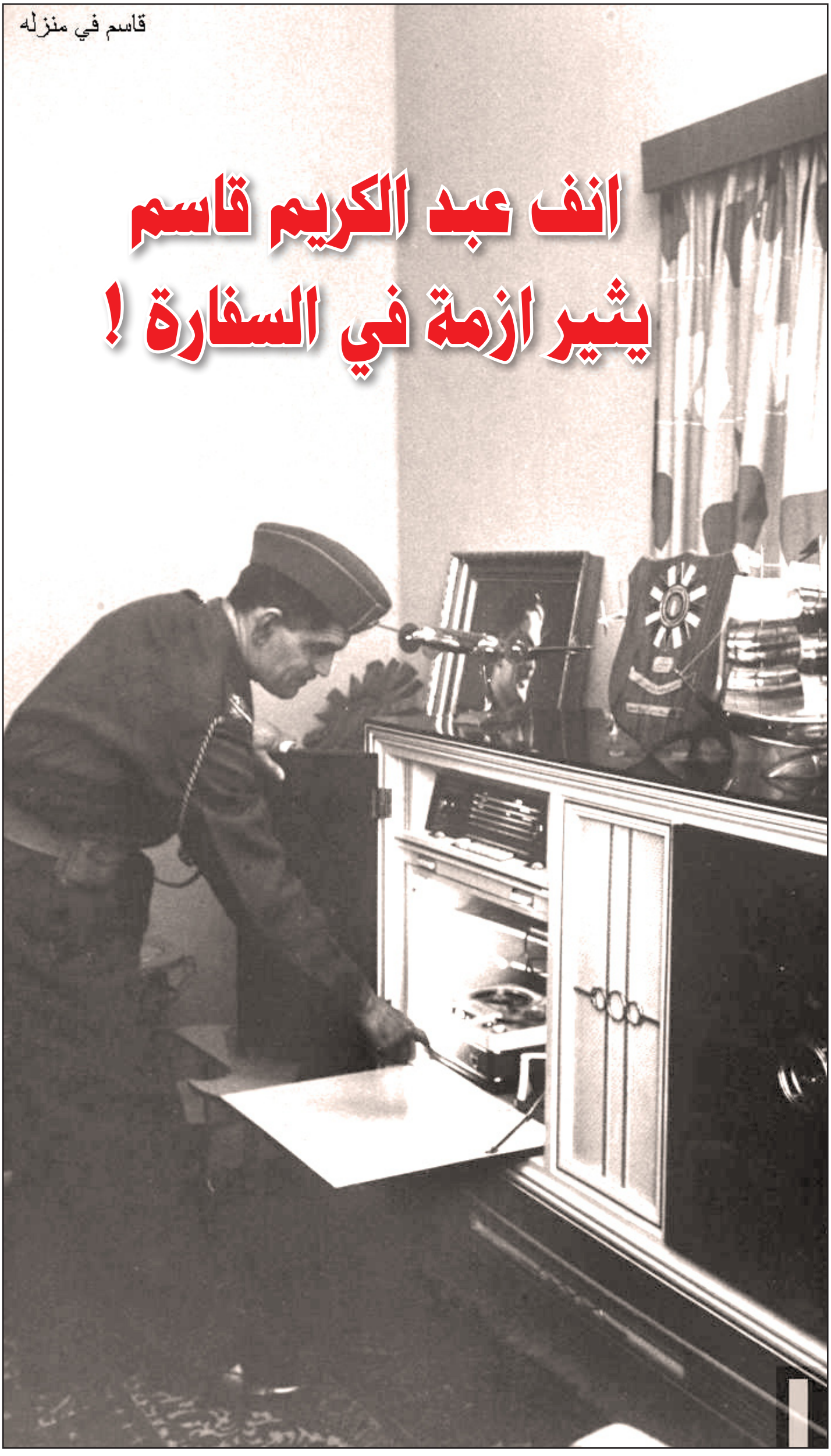

انف عبد الكريم قاسم يثير ازمة في السفارة !

رئيس مجلس الادارة رئيس التحرير

فخري كريم

ملحق اسبوعي يصدر عن مؤسسة المدى للاعلام والثقافة والفنون

العدد (1756) السنة السابعة
الاثنين (29) اذار 2010

2

عامل في المطبعة تلاعب ببعض الحروف فسبب فضيحة مدوية للصحيفة

من اوراق الباحث نجدة فتحي صفوة

انف عبد الكريم قاسم اثار ازمة في السفارة

كانت العلاقات السياسية بين الدول العربية وبريطانيا في اواخر الاربعينيات طبيعية وخالية من المشكلات، باستثناء قضية فلسطين طبعا، اما بالنسبة للعراق فقد كان الاستثناء الوحيد هو ما كان يلاقيه الملحق العسكري من صعوبات ومماطلات في الحصول على الاسلحة التي يحتاجها الجيش العراقي في ذلك العهد ، الذي كانت المعاهدة العراقية -البريطانية لاتبيح فيه للعراق شراءها من مصدر اخر.

واذا اصبحت الدبلوماسية اليوم من اخطر المهن، والديبلوماسيون من اكثر الناس تعرضا للاعتداء على اشخاصهم فقد كانت في ذلك الوقت اكثر المهن امنا وحصانة، ولم يكن العالم قد عرف بعد امورا مثل اختطاف الطائرات، والاعتداء عن الديبلوماسيين والصحفيين واتخاذهم رهائن، ولا اعمال العنف والارهاب التي يضج بها اليوم، بل كان الامن مستتبا الى حد بعيد، وابواب السفارات مفتوحة لكل طارق، وكان يدخل السفارة العراقية من يشاء بعد ان يدفع الباب الذي كان مفتوحا طوال ساعات الدوام، فاذا صادفه احد السعاة سأله عن الشخص الذي يريد ان يقابله، وان لم يجد من يستقبله ، مضى الى اية غرفة بما فيها غرفة السفير، ودخلها بلا موعد ولا استئذان.

وكان الهاجس الامني الوحيد الذي مر بنا طوال السنوات الثلاث التي قضيتها في لندن هو ما حدث حينما تلقت دائرة الملحق العسكري في احد الايام الحرجة التي سبقت حرب فلسطين، مكالمة تلفونية من شخص مجهول يخبرها بوجود قنبلة في دهليز السفارة وقد اتصلت الدائرة بالشرطة فورا ، وهرع رجالها وفتشوا البناية فلم يعثروا على شيء، ولم يكن لدينا شك في ان المكالمة جاءت من بعض الصهاينة الجبناء بقصد اشاعةالخوف في نفوس موظفي السفارة وخلق البلبلة فيها، ولكن الحادثة انقضت خلال نصف ساعة ، ولم تتكرر.

الزوار قليلون

وكان الوافدون والزوار العرب الى انكلترا قلة نأنس بقدومهم، ولم يكن هناك ما يشابه هذا الطوفان الذي نشاهده اليوم من الزوار من شتى انحاء الوطن العربي، حتى اوشكت لندن ان تصبح مدينة عربية يسكنها بعض الانكليز ، ولذلك كانت اشغال السفارة محدودة، واشغال القنصلية لاتتجاوز منح السمات لعدد من المسافرين الى الهند واستراليا عبر العراق، وتصديق بعض الاوراق التجارية وشهادات المنشأ وتمديد جوازات العراقيين القليلين الموجودين فيها، ومعظمهم من الطلاب الذين كانوا يدرسون في الجامعات البريطانية، ولايتجاوز عددهم بضع مئات وكان يحضر الى انكلترا من وقت لاخر عدد من ضباط الجيش العراقي للمشاركة في دورات عسكرية، او شراء بعض المعدات للجيش، او للعلاج وكان الملحق العسكري في السفارة هو المقدم الركن حسن مصطفى الذي كان من المع ضباط الجيش العراقي واول المتخرجين في الكلية العسكرية وكلية الاركان وفي جميع الدورات التي اشترك فيها وكان حسن مصطفى (وما يزال) شخصا لطيف المعشر، كريم الخلق، مندفعا في اداء واجباته وفي خدمة العراقيين.

سواء كانوا من العسكريين او غيرهم. وكان على كثرة واجباته واشغاله، يعمل بمفرده ولايساعده في عمله سوى سكرتيرة واحدة، ولم يكن لدائرة الملحق العسكري محاسب خاص، وكان محاسب السفارة يقوم بحسابات الملحقيتين العسكرية والثقافية، وصرف رواتب الضباط والطلاب الموجودين في انكلترا وكانت اشغال هاتين الملحقتين في كثرتها تعادل اضعاف اشغال السفارة.

وكان محاسب السفارة هو الزميل محمد اسماعيل رمضان الذي يناديه الجميع "ابو جاسم" وكان موظفا لايكل عن العمل، شديد الحرص على اموال الدولة ومراعاة الانظمة والتعليمات الحسابية وتنفيذها بدقة تامة تبتعد احيانا عن المرونة ولذلك كثيرا ما كان يدخل في مناقشات حادة مع موظفي السفارة، واذا كان المحاسبون في كل مكان يتصفون بهذه الصفات، بسبب طبيعة اعمالهم ودقة مسؤولياتهم فقد كان جميع اعضاء السفارة يحبون "ابا جاسم" ويحترمونه لنزاهته وصراحته وتقشفه ، ويعلمون ان تشدده في الامور لم يكن قط بدافع شخصي منه ضد أي منهم.

وكانت اكبر مشاكل "ابي جاسم" مع الملحق العسكري، وذلك لان الانظمة الحسابية لوزارة الدفاع كانت تختلف بعض الشيء عن تعليمات وزارة المالية التي تخضع لها الوزارات الاخرى.. وكثيرا ما كان الملحق العسكري يحيل اليه قائمة لصرفها، فيرفض ابو جاسم لتعارضها مع تعليماته فيحتدم النقاش بينهما ويتعالى الصياح، فيحتكمان الى السفير الذي يحل بالتي هي احسن ولا يلبثان ان يخرجا من غرفته مبتسمين.

انف قاسم

وكان بين الضباط الذين حضروا الى انكلترا في مهمة رسمية مقدم ركن اسمه عبد الكريم اسم ، اوفد للاشتراك في دورة الضباط الاقدمين وكان يتردد على السفارة من وقت لاخر شأن زملائه الاخرين، كما كنا نجتمع به احيانا في بعض الاماسي مع غيره من العراقيين في دار الملحق العسكري او غيره من الزملاء.

وكانت في انف عبد الكريم قاسم ثلمة (او قرطة) تشوه منظر وجهه وتسبب له عقدة نفسية فطلب الى الملحق العسكري وهو زميله في الدراسة وصديقه، السماح له بالبقاء مدة اخرى بعد انتهاء الدورة ليدخل المستشفى ويجري له عملية جراحية على انفه لأزالة تلك الثلمة، فوافق حسن مصطفى على مضض رغبة في مساعدته، فدخل المستشفى واجريت له العملية الجراحية فحققت نجاحا نسبيا، وكانت انظمة وزارة الدفاع تقضي بان تدفع الملحقية العسكرية نفقات معالجةالضباط الموفدين تواجور المستشفى والعمليات والادوية، وكل ما تتطلبه معالجتهم، ولما طلب الملحق العسكري من (ابو جاسم) صرف اجور العملية التي اجريت لعبد الكريم قاسم ونفقات المستشفى الذي دخله، رفض رفضا باتا وقال انها "عملية تجميل" وليست عملية ضرورية بسبب عارض صحي اصاب الضابط، ولذلك فعليه ان يدفع اجورها بنفسه.

ولم يكن باستطاعة عبد الكريم قاسم تسديد تلك النفقات الباهظة نسبيا في ذلك الوقت، وكان المقدم حسن مصطفى يلح على صرفها رغبة في مساعدة زميله، وبحجة ان التعليمات ذكرت "اجور العمليات والمستشفى بصورة عامة ، ولم تخصص نوع العملية وعلى اثر ذلك حدثت بين الملحق العسكري، و"ابي جاسم" مشادة قوية وسمعنا صوت الاخير من غرفته وهو يصيح: "عملية تجميل.. عملية تجميل.. ما ادفع.." وانتهى الامر بهما كالعادة في الرجوع الى السفير، فامر بدفع المبلغ على مسؤوليته وانهاء الموضوع ، وبقيت "عملية التجميل" موضوع تندر السفارة والمتصلين بها مدة طويلة بعد ذلك.

وفي اواخر عام ١٩٥٨ وبعد ان قام عبد الكريم قاسم بثورة تموز واصبح رئيسا للوزراء ببضعة اشهر، وحضر ذات يوم الى وزارة الخارجية في زيارة مفاجئة، وقصد غرفة الوزير، وكان الوزير هاشم جواد –رحمه الله – غائبا عن بغداد لحضور احد المؤتمرات وعبد الكريم قاسم قد تولى وزارة الخارجية خلال غيابه كعادته، فاستدعى رؤساء الدوائر في الوزارة واستفسر منهم عن اعمالهم

ولم يكن باستطاعة عبد الكريم قاسم تسديد تلك النفقات الباهظة نسبيا في ذلك الوقت، وكان المقدم حسن مصطفى يلح على صرفها رغبة في مساعدة زميله، وبحجة ان التعليمات ذكرت "اجور العمليات والمستشفى بصورة عامة ، ولم تخصص نوع العملية وعلى اثر ذلك حدثت بين الملحق العسكري، و"ابي جاسم" مشادة قوية وسمعنا صوت الاخير من غرفته وهو يصيح: "عملية تجميل.. عملية تجميل.. ما ادفع.." وانتهى الامر بهما كالعادة في الرجوع الى السفير، فامر بدفع المبلغ على مسؤوليته وانهاء الموضوع ، وبقيت "عملية التجميل" موضوع تندر السفارة والمتصلين بها مدة طويلة بعد ذلك.

سوكارنو

تيتو

ومشاكلهم ولما التفت الي ذكرني بايام لندن ثم سألني :اين يوجد ابوجاسم الان؟ فقلت له انه مستشار في سفارتنا في نيودلهي، فابتسم وقال: "انه كان محاسباً صعب المراس، ولكنه موظف جيد" ومن نظرات عبد الكريم قاسم الي في تلك اللحظة و ابتساماته لم يخامرني أي شك في انه كان يتذكر قضية العملية، وان لم يشر اليها بطبيعة الحال.

محاضرة وضجيج

وفي احد ايام عام ١٩٤٧ قرأت اعلانا صغيرا في مجلة "نيوستيتسمان" عن محاضرة كان سيلقيها وزير المستعمرات البريطاني المستر كريج جونز عنوانها سياسة بريطانيا الاستعمارية ، فاثار هذا العنوان اهتمامي وتشوقت لمعرفة الاسلوب الذي سيعرض به الوزير المختص تلك السياسة وكيف سيبررها ويدافع عنها، ولذلك حرصت على حضورها.

وفي اليوم المحدد للمحاضرة وصلت القاعة في وقت مبكر – وكانت كبيرة جدا وان نسيت مكانها الان.

وربما كانت "كاكستن هول" –فوجدتها غاصة بالطلاب الافريقيين من المستعمرات البريطانية.

وبدأ الوزير محاضرته بعد ان قدمه عريف الاجتماع وكان احد اللوردات فعرض سياسة بريطانية في المستعمرات وما قامت به من اعمال لخدمتها ورفع مستوى سكانها واعدادهم ليصبحوا" قادرين على حكم انفسهم في المستقبل وقد صور الاستعمار وكأنه مهمة خيرية ، وعمل انساني، ولم يتطرق الى الفوائد التي تجنيها الدولة الاستعمارية على حساب مصالح تلك البلاد وسكانها، وكان مما قاله ان اعداد المستعمرات للاستقلال مهمة صعبة لايمكن انجازها بين ليلة وضحاها. ولابد ان يتم ذلك تدريجيا، وما اشبه ذلك من الاقوال المعروفة التي تبرر بها الدول التي لها مستعمرات، استمرار بقائها فيها، وذلك بالرغم من ان حكومة العمال التي كان جوتز يتكلم باسمها، كانت مصممة فعلا على التخلي عن كثير من المستعمرات، وفي عهدها تحقق استقلال الهند وباكستان وسيلان وغيرها.

وكان الطلاب الافريقيون خلال المحاضرة يتململون ويهمهمون ، فلما تحدث جونز عن الاصلاحات التي قامت بها بريطانيا في المستعمرات والخدمات التي قدمتها لها صاح احدهم فجأة: "هذا غير صحيح" واعقبه ثان قائلاً: "هذا كذب" ولكن الوزير لم يعبأ بهذه المقاطعة ومضى في شرح هذه النقطة مبديا بعض ارائه الشخصية في الموضوع، ومعترفا بوجود بعض المآخذ على تلك السياسة ، فصاح احد المحاضرين: "ولماذا لاتستقيل" ؟ وصاح اخر: "انت كذاب".

وتكهرب الجو في القاعة، وتعالى الضجيج ويتمكن العريف من اعادة النظام الا بصعوبة كبيرة. وكان جونز يقابل هذه المقاطعات والهتافات بهدوء غريب بالضحك احيانا، وكان كرشه يهتز ضحكا كلما تعالت اصوات الطلاب بتلك النداءات التي كانت تزداد حدة، ويتلقاها وكأنها تقال للمزاح او المداعبة. ولم يظهر عليه أي مظهر للغضب، ولم يرتجف ولم يحمر وجهه او يصفر، بل كان يسكت كلما قوطع، ثم يواصل كلامه وكأن شيئاً لم يحدث، فيقاطعه الطلاب مرة اخرى هاتفين : "اخرجوا من بلادنا ..لا نريد مدينتكم".

ولما انتهت المحاضرة اعلن عريف الاجتماع ان جونز سيجيب عن الاسئلة التي توجه اليه حول الموضوع على قدر استيعاب الوقت، ولكنه اشترط ان تكون الاسئلة مكتوبة لأن ذلك احفظ للنظام فصاح احد الطلاب الافريقيين: "تريدون الاسئلة مكتوبة لتختاروا منها ما يوافقكم" فأجابه العريف: "سأضع الاوراق على هذه الطاولة وسأسحب منها ما اسحب امامكم اعتباطا ودون النظر اليها".

وهنا نهض احد الطلاب وقال بصوت مرتفع: "انكم لم تنشروا التعليم في بلادنا التي تستعمرونها منذ اجيال، فكيف يسأل من لايعرف القراءة والكتابة منا؟" فضحك الحاضرون كما ضحك الوزير نفسه.

من واشنطن الى موسكو

كانت هذه المحاضرة مناسبة لم يسبق لي ان شهدت مثلها قبلا ، وتجربة من اغرب التجارب التي مرت بي في لندن، واحفلها مغزى، وقد تحدثت عنها الصحف في اليوم التالي، ورويت ما حدث خلالها لزملائي في السفارة وللسفير الذي قال: لو اخبرتني عنها لحضرتها معك امس، ثم شغلت عنها بغيرها من الاحداث التي كانت تهمنا مباشرة.

ومرت الايام والاعوام حتى كدت انسى امرها وفي هذه الفترة تغيرت خريطة العالم ، واستقلت الدول الافريقية واحدة بعد اخرى، وفي احد ايام عام ١٩٦٣ وصلت الى موسكو قائما باعمال السفارة العراقية فيها فاستقبلني الزملاء وصحبوني الى دار السفارة حيث كنت سأقيم ، وبعد ان تناولنا العشاء وتبادلنا الاحاديث وسألتهم عن الحياة والعمل في موسكو ما عن لي من اسئلة، تفرق الاخوان وتركوني لأنام بعد سفرتي الطويلة حيث كنت اتيا من واشنطن ، وبقيت وحدي في دار السفارة الكبير، فشعرت بشيء من الوحشة، ولم اتمكن من النوم فبحثت عن شيء اقرأ، وكنت قد رأيت في غرفة الجلوس مكتبة صغيرة فيها بعض الكتب التي يبدو السفير السابق تركها فيها. فقلبتها لاختار احدها فرأيت كتابا عنوانه "مذكرات نكروما" وهم مترجم الى اللغة العربية نشر في بيروت فحملته معي الى غرفة النوم وبدأت اقرأ.

وكان كتابا طريفا يتحدث فيه الزعيم الغاني السابق عن حياته وذكرياته ونضاله السياسي، ومن جملة فصول الكتاب واحد يتحدث فيه عن أيام دراسته في لندن في اواخر الاربعينيات والنشاط السياسي الذي كان يمارسه الطلاب الافريقيون من اجل استقلال بلادهم، وبهذه المناسبة يتحدث نكروما عن محاضرة عن محاضرة القاها وزير المستعمرات كريج جونز عن سياسة بريطانيا الاستعمارية فيقول ان الطلاب الافريقيين حينما سمعوا بأمرها قرروا حضورها واستغلال هذه المناسبة لاحراج الوزير باسئلتهم واحداث ضجيج وشغب يجعلان الصحف تشير الى قضية بلادهم.

وقال انه كان من الطلاب الذين هتفوا ضد الوزير وقاطعوه مرارا.

واستغرقت في تفكير عميق، محاولا استعادة تفاصيل تلك الامسية التي ابتعدت عن اكثر من خمسة عشر عاما، وقبعت في زاوية مهملة في ذاكرتي، وعادت بي الذاكرة الى الوراء سنوات قلائل، حين رأيت نكروما في نيويورك يحضر اجتماع الامم المتحدة عام ١٩٦٠ ذلك الاجتماع التاريخي الذي حفل بحضور اكبر عدد من رؤساء الدول بينهم خروشوف وتيتو ونهرو وجمال عبد الناصر وسوكارنو وقد دخل نكروما قاعة الجمعية العامة ووراءه وزراؤه مصعرا خده في جو من الكبرياء والخيلاء ولم اشهد له مثيلا لدى غيره، وكان تأنقه في ملبسه ملفتا للنظر وتكلفه في حركاته وسكناته واضحا للعيان، تذكرت ذلك في سريري في موسكو، وقلت في نفسي: من يدري فلعل زعيم غانا ورئيس جمهوريتها كان جالسا الى جواري في تلك الامسية، مع زملائه الطلاب الافريقيين وهو يهتم معهم ويتوعد ويقاطع وزير المستعمرات صائحا: "كذاب ...لانريد مدنيتكم ..اخرجوا من بلادنا" وتساءلت: ماذا يصنع نكروما الان؟ وكيف يكون رد الفعل لديه، لو القى خطابا فواجهه الجمهور بمثل تلك الهتافات؟

ولكن التاريخ مليء بالعبر والمفارقات ، فقد اطيح بنكروما بعد ذلك عام ١٩٦٦ خلال سفرة كان يقوم بها في الصين بسبب استبداده بابناء شعبه الذين كان يهتف لأجل انقاذهم من الاستبداد الاجنبي، وانتهى ذلك الزعيم الذي كانت صوره تملأ شوارع اكرا وغيرها من مدن غانا، والذي كان قد ادخل في روع شعبه انه زعيم مستمر، وسن قانونا يبيح له اعتقال كل من يعارضه لمدة خمس سنوات بلا محاكمة.

× نجدة فتحي صفوة باحث ودبلوماسي عراقي له العديد من البحوث والدراسات في مجال تاريخ العراق والعرب

من مجلة المجلة في عددها 397 في 1987

وكان بين الضباط الذين حضروا الى انكلترا في مهمة رسمية مقدم ركن اسمه عبد الكريم اسم ، اوفد للاشتراك في دورة الضباط الاقدمين وكان يتردد على السفارة من وقت لاخر شأن زملائه الاخرين، كما كنا نجتمع به احيانا في بعض الاماسي مع غيره من العراقيين في دار الملحق العسكري او غيره من الزملاء.

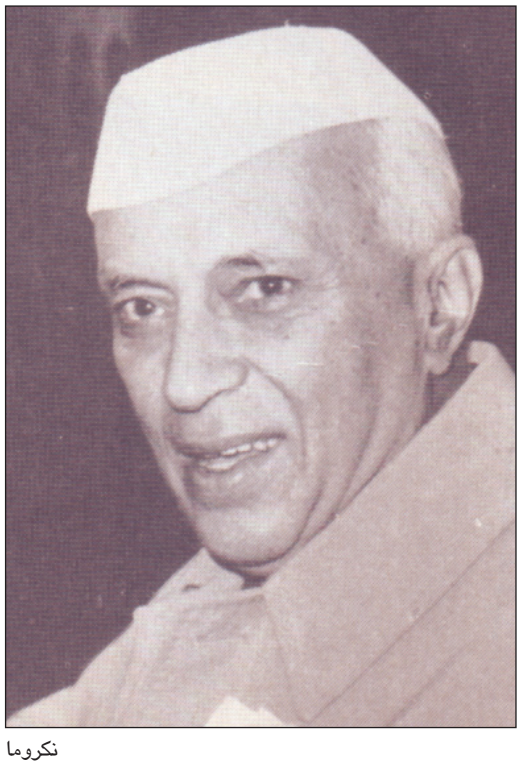
نكروما

نهرو

الأديب الراحل عبد الرزاق الهلالي كشف الجوانب الخفية من حياته الرياضية

بطل القفز بالزانة يرأس تحرير مجلة (الصديق)

جميل الطائي

بالرغم من المقالات والكتابات العديدة التي تفضل بنسجها كتابنا الافاضل من على صفحات صحفنا ومجلاتنا الادبية والثقافية عن سيرة حياة الاديب الراحل عبد الرزاق الهلالي والتي تناولوا فيها مختلف جوانبها الادبية وغير الادبية سواء اكانت تلك الكتابات والمقالات قد قيلت بمناسبة ذكراه السنوية ام في غيرها واخر من كتب بهذا الخصوص من الاساتذة رفعت عبد الرزاق، محمد حسين الزبيدي، سعدون ابراهيم حلمي، الا انني لم اجد من بين هؤلاء الافاضل من الكتاب من تطرق الى بواكير حياة اديبنا الراحل وبصورة خاصة مرحلة دراسته في دار المعلمين الابتدائية التي دخلها طالبا عام ١٩٣٥ وتخرج فيها عام ١٩٣٧ ولكي نسلط الاضواء على هذه الفترة المبكرة من حياته الادبية في هذه الدار لابد لنا من كشف اوراقها العتيقة لنزيل عنها غبار الماضي البعيد لافادة من يهمه تتبع اثار الهلالي ونشاطاته واعماله في تلك الفترة.

-كان الاديب عبد الرزاق عبد المجيد البصري – هكذا كان يلقب في بواكير حياته بدار المعلمين الابتدائية – يعتبر من ابرز طلبتها نشاطا واكثرهم حضورا في مناسباتها المختلفة والتي كانت تقام على ارضها في تلك الفترة منذ سنته الدراسية الاولى حيث جمع بين الرياضة والادب فعلى الصعيد الرياضي كان عبد الرزاق يعد من ابطالها المرموقين في لعبة (القفز بالزانة) حيث احرز عدة بطولات فيها أهلته ليصبح بطل الدار في هذا الضرب من الرياضة زيادة على ذلك كله فقد كان يعتبر كاتبا من كتابها الرياضيين بما كان يدبجه يراعه من مواضيع قيمة ذات فوائد جمة والتي كان يزود بها مجلة الدار الموسومة بـ (الصديق) ومن جملة كتاباته في هذا المجال قوله " ما كنت تراني قبل هذا العام اقفز بالزانة ولا اعرف شيئا عنها الا انني كنت اشعر بحبي لها فكنت افكر في كيفية قفزها ولكن ليس لي سبيل لتوضيح ما ابهم علي اليوم وانا بدار المعلمين فقد تعلمتها وبلغت امنيتي المنشودة وحصلت على مبتغاي ولعلك تسألني ان احدثك عن القفز بالزانة فاجيبك قائلاً بما اعرفه او بما تعلمته من نفسي ومن استاذي اكرم فهمي.

×وما دمنا بهذا الصدد فلابد من الاشارة الى ان المدرب الذي كان يشرف على تدريب الهلالي وهو المرحوم اكرم فهمي مدرس التربية البدنية في الدار المذكورة ، ولقد حصلت دار المعلمين الابتدائية في تلك السنة أي عام ١٩٣٥ على كأس الملك فيصل الاول خلال السباق الرياضي الذي جرى مساء يوم ٢٦/ نيسان بين دور المعلمين والثانويات والمتوسطات من جميع الوية (محافظات) العراق والذي حضره الامير عبد الاله والشيخ رضا الشبيبي وزير المعارف في تلك الفترة.

×وكان للاديب عبد الرزاق الهلالي حضور متميز في الساحة الادبية والثقافية خلال هذه المرحلة من حياته الدراسية المبكرة بما كان يدونه بقلمه من مواضيع جميلة التعبير سلسلة الاسلوب وما كان ينظمه من قصائد شائقه حاملة بطياتها غررا في الوصف والتشبيه وليصور فيها العمق الوجداني للانسان كل هذه الامور جعلته وهو الطالب الجديد تحت سماء الدار المذكورة ان يبز اقرانه من الطلاب كما اصبح محط انظار اساتذته وكسب ودهم ونيل احترامهم وتقديرهم بما وجدوا فيه من نبوغ مبكر في البلاغة والادب هذا اذا علمنا ان دار المعلمين في تلك الفترة كانت تضم صفوة مختارة من رجال العلم والادب واللغة اذكر منهم على سبيل المثال كلا من الاساتذة:

د. عبد الرزاق محيي الدين ، د. بديع شريف، حسيب الكيلاني ، ابراهيم عنتر، اكرم زعيتر، ابراهيم شوكة، فتحي صفوة، داود قصير، فريد نجار، فريد زين الدين، شوكت سليمان، ويوسف شفو، اضافة الى الاستاذ خالد الهاشمي مدير الدار.

×واهتم الهلالي اهتماما كبيرا بهوايته للادب والثقافة بحيث فاق كثيرا هوايته الاولى الرياضة البدنية فأخذ يبتعد عنها تدريجيا ليتجه كليا الى دراسة الادب واللغة والغور باعماق الكتب الادبية العربية والعالمية.

ومن القصائد الطريفة التي نظمها في تلك الفترة المبكرة وزين بها صفحات مجلة (الصديق) المدرسية عام ١٩٣٥ تلك القصيدة الوصفية المعبرة التي اظهرت قدرته الفائقة في امتلاك ناصية الشعر وقوافيه والتي يصف فيها شكوى طالب ناله الرسوب في دراسته في الدار اقتطف منها بعض الابيات:

لاتسلني عن وضعي المحسوس
ونجاحي وحالتي في الدروس!
فمقامي بالدار رهن سقوط
بعد عام اكون بالمكنوس
انني ساقط ومالي نصير
يشتكي لي عن حالي المتعوس
فبدرس الحساب نلت هموماً
ماكلامي؟ وكنت بالع موس!!

الى ان يقول:

خبروا الاهل والرفاق باني
ساقط ويحكم بكل الدروس
ايه ربي رفقا بحالي فانني
اوشك الدهر ان يهد ضروس.

×وما ان انتقل الى الصف الثاني حتى تبوأ بجدارته ومكانته وباعه الطويل في دنيا الادب رئاسة تحرير مجلة الدار السالفة الذكر تلك المجلة التي لابد من التوقف عندها لتعريف القاري والمتتبع لها، لنقول: كانت المجلة المذكورة أي (الصديق) تكتب بايدي هيئة تحرير مختارة من طلاب الدار وكان الاستاذ بديع شريف مرشدا للهيئة المذكورة وكانت تصدر يومها بمناسبات مختلفة خلال السنة الدراسية.. وكان الهلالي بالاضافة الى رئاسته لتحرير المجلة المعنية يزودها بمواضيعه القيمة والمفيدة ومن جملة كتاباته سلسلة مقالات عن محافظات العراق تناول فيها مدينته البصرة اذكر منها هذه الاسطر وهو يقول:

"هي تلك المدينة التي بناها الخليفة الثاني عمر بن الخطاب وجعلها قاعدة حربية عامة في اقصى الجنوب بعيدة عن مياه البحر اذ ذاك والمستنقعات والامراض فهي اذا اثر خالد من اثار الفتح الاسمي وزيادة على انها الاثر الذي يبعث في النفس الامل فهناك بعض الاثار التي تنبئ عن عهد سالف اندثر فمنارة الجامع وقد وكرت عليها اللقالق والغربان تبدو وسط الصحراء بعيدة عن البصرة الحاضرة التي نفرت منها ومرقد طلحة والزبير يبعثان في النفس صورة من صور النزاع ومأساة من مآسي العرب في ذلك الزمن، ومربد البصرة الذي اكل الدهر عليه وشرب يبعث الاسى والحزن ويؤجج في الفؤاد النيران فأين تلك العظمة التي كانت متمثلة في شخص الخليل بن احمد واين منا اخوان الصفا".

واخيرا هذا ما وددت تقديمه للافاضل من القراء والمتتبعين لاثار الاديب الراحل عبد الزراق الهلالي وكما قلت من اوراق مطوية من حياته الادبية المبكرة عسى ان اكون بعملي هذا قد اديت جزءا يسيرا لاديبنا الفذ.

واهتم الهلالي اهتماما كبيرا بهوايته للادب والثقافة بحيث فاق كثيرا هوايته الاولى الرياضة البدنية فأخذ يبتعد عنها تدريجيا ليتجه كليا الى دراسة الادب واللغة والغور باعماق الكتب الادبية العربية والعالمية.
ومن القصائد الطريفة التي نظمها في تلك الفترة المبكرة وزين بها صفحات مجلة (الصديق) المدرسية عام 1935 تلك القصيدة الوصفية المعبرة التي اظهرت قدرته الفائقة في امتلاك ناصية الشعر وقوافيه والتي يصف فيها شكوى طالب ناله الرسوب في دراسته في الدار

تجربة قلم

عامل في المطبعة تلاعب ببعض الحروف فسبب فضيحة مدوية للصحيفة

صالح سليمان

حتى الالف كلمة لا تكفي ليوجز بها الضيف رحلته في هذه الدنيا المسحورة.. دنيا الصحافة فالذاكرة حين تتلقى لدعوة الزميل الكريم فؤاد مطر، لابد لها – وهي ذاكرة صحافية – ان تطمع بالف اخر من الكلمات لكن من يكابد الشوق ويعاني الصبابة ، يعرف لماذا هي الف كلمة لا اكثر لذلك سيكون الاختصار الشديد، كابحا لهدير هذه الذاكرة على امل ان ينالني مع كرم الضيافة ضوء اخضر المرور بعض كلمات قد يراها البعض نبشا لماض مضى، في حين انها فاتحة لحديث لايطيب مَن دونها، وهي جزء من تاريخ نحن امناء عليه كانت البداية مثل بدايات كل الزملاء، رغبة في الكتابة ، فاذا ما نجحت رسالة الى رئيس تحرير جريدة "العالم العربي" في بغداد تحمل عنوان "تعال معي.. الى سوق الشيوخ" فان الرغبة تمد طموحها الى مواضيع اخرى، واذا ما تورط احدهم بسرقة مقال منشور في جريدة سودانية بعنوان "لماذا ولمن يكتب الاديب" ونشره باسمه في "العالم العربي" واسهم الكتاب في تناول هذا الموضوع ، وكنت واحدا بينهم، فان النشوة لابد من ان تبلغ مداها في القلب الذي لم يدخل ربيعه العشرين بعد، في بداية الخمسينيات او قبلها بقليل ، ثم تتوالى الى مقالات اخرى، على درب الهواية او الغواية، بل مقابل حتى وقعت الواقعة!

ذهب الملك فيصل الثاني الى لندن، ووصفت وكالة "رويترز" استقبال الملكة البريطانية له قائلة انها رفعت كأسها تحية له وعبث احد عمال المطبعة (من باب الوطنية) في حروف البرقية، فصدرت "العالم العربي" في اليوم التالي تحمل فضيحة لايسترها ستر، وكنت ذلك اليوم احمل مقالا جديدا للاستاذ لطفي بكر صدقي رئيس التحرير الذي كان يقف عند فتحة الزقاق المطل على شارع الرشيد وبانتظار المصحح الذي فاتت عليه هذه الغلطة المطبعية ليعاقبه ميدانيا وعندما رآني صرخ: تشتغل (مصحح)؟

وصرخت بصوت اعلى من صوته:

-اشتغل!

من هنا بدأنا، وبراتب شهري قدره ستة دنانير فقط لا غير يصرف اسبوعيا بواقع دينار ونصف الدينار..لكل اسبوع.

لم اكتف بمهمة التصحيح الذي كان هو البداية التي تابعت فيها اساليب الصحافيين الذين سبقوني وتعلمت منهم، فكتبت من ثم بالسياسة، والفن، والقصة. كانت متعة الكتابة لا تفارقني، وهي ماتزال لا تفارقني حتى الكلمة الالف من هذه الرسالة كان العمل لذيذا مع الزملاء عبد القادر البراك وشاكر اسماعيل ومنير رزوق ، ولكل منهم حكايات لايتسع لها المجال هنا، شاكر اسماعيل غير عنوان صفحته الرياضية، فاصبح انتفاضة لا رياضية"، ومنير رزوق تنازل لي عن عمله عندما عرف انني عاطل فتبادلنا البطالة، والصديق عبد الرحمن فوزي كان رقيباً على الصحافة وكنا نسهر كل ليلة ، وعبد القادر البراك ومحيي الدين اسماعيل وبدر شاكر السياب ويوم صدرت لي مجموعة قصصية بعنوان "السجن الكبير" من دون ان تعرض على الرقابة جاء عبد الرحمن فوزي تلك الليلة، وما ان جلس حتى همس قائلاً:

-قدمت كتابك اليوم الى المدعي العام لمحاكمتك ، اشرب كأسك وغادر بغداد!

في اوائل الخمسينيات ، كنت اعمل موظفا في مديرية السكك الحديد، حين اغراني الزميل جوزيف ملكون، رئيس تحرير جريدة "الاخبار" بان اعمل معه، واتفقنا على كتابة تحقيقات صحفية براتب شهري قدره ثمانون دينارا وهو اعلى راتب في الصحافة حينذاك وقدمت استقالتي من الوظيفة، وصدرت "الاخبار" تحمل مانشيتا على ثمانية اعمدة: "صالح سلمان يكتب مئة ريبورتاج.. وريبورتاج".. وما ان بدأت حتى طلب مني رئيس التحرير ان اكتب تحقيقا ادركت انه موضوع اعلاني ، فرفضت وتركت العمل في "الاخبار" بعد ان فقدت وظيفتي الحكومية.

لكن الايام ظلت ممتعة عملت في جريدة "الاوقات" البغدادية من دون علم رئيس تحريرها الذي كان يقضي اشهر الصيف في لبنان، وما ان عاد حتى اتصل مباشرة بالتحقيقات الجنائية يشكوني اليها ويبرئ نفسه من كل ما نشر في الجريدة خلال غيابه وتنقلت على مدى السنوات تلك للعمل في اغلب الصحف العراقية، عملت اربع عشرة سنة في التقاط الاخبار من الاذاعات مباشرة حيث لاوجود لاجهزة وكالات الانباء ولا لاجهزة التسجيل، كنت "اضبط" خطب الرئيس عبد الناصر على مدى ساعتين واكثر، وكان عامل المطبعة يسحب الاوراق من تحت يدي من دون "تبييضها" ولم يحدث ان فاتتني كلمة، او اخطأت في جملة. لذلك كنت "مطلوباً" لهذا العمل في الصحف الاخرى.

في جريدة الاهالي عملت مع الاستاذ كامل الجادرجي رئيس الحزب الوطني الديمقراطي الذي كان يتابع الاخبار بدقة ويلتزم الامانة بنشرها، اذكر ذات ليلة اغراني احد الزملاء بالخروج مبكرا، اذ لايبدو ان هناك خبرا مهما ستأتي به الاذاعات وخرجنا وسهرنا، وعند عودتي الى البيت في محلة "الحيدرخانة" القيت بنفسي على السرير بعد ان خلعت كل ملابسي ولما كان جاري –على عادته – يرفع صوت المذياع الى كل مداه ، فقد سمعت من راديو دمشق في الثانية عشرة والربع خبر الحكم على الدكتور مصدق رئيس الوزراء السابق في ايران، الذي امم النفط الايراني، وكان هذا الامر اهم حدث يترقبه العالم باسره، فقفزت من السرير، وبعد دقائق وجدتني عاريا اركض في شارع الرشيد باتجاه مبنى جريدة الاهالي وكان البعض من المتسكعين في اخر الليل يركض ورائي (!) وعندما وصلت لاهثا كان عامل المطبعة على وشك ان يضع الصفحة الاولى في ماكنة الطبع ولما كان جرس الهاتف يرن، اسرعت الى الهاتف وكان الاستاذ الجادرجي، يخاطبني قائلا:

-اقرأ علي خبر الدكتور مصدق!

كانت الذاكرة شابة متيقظة فنقلت له نص ما سمعته من راديو دمشق، لكنه طلب مني ان انتظر حتى يقارن ما قرأته عليه، بما التقطه هو وبعد عدة دقائق طلب مني ان انشر الخبر الذي قرأته انا عليه وعدت ثانية للذاكرة ونشرت الخبر، وصدرت الاهالي في اليوم التالي متفردة بسبق صحفي.

بعد ثورة ١٩٥٨ عملت محررا للاخبار الخارجية في جريدة الحزب الشيوعي "اتحاد الشعب" وكان راتبي اعلى راتب فيها ، وكان العمل سهلا لان صفحاتها الاولى تمتلئ عادة بالمقالات ولا يطلب مني سوى بضعة اخبار على ان يكون مصدرها اذاعة موسكو كنت اجد وقتا كافيا لاستمع الى برامج مختلفة من اذاعات اخرى من دون ان ارفع صوت الراديو ، الا ان زكي خيري، عضو المكتب السياسي، كان كلما مر بالقرب مني مد يده بخفة الى جهاز الراديو ليرفع صوته، حتى يكتشف انني استمع الى موسيقى غربية والاستماع الى موسيقى غربية يعني "البرجزة" وهذا امر مرفوض في محرر يعمل في جريدة "اتحاد الشعب".

في الكويت كنت مديرا لتحرير مجلة صوت الخليج عام ١٩٦٥ ولعلي اول من نشر تحقيقا صحفيا مصورا فيها، عن تسلل الايرانيين الى الكويت حيث قضيت ليلا كاملا في البحر، في زورق كويتي اسمه "السبع" يطارد المتسللين الايرانيين ثم كنت مديرا لتحرير مجلة "اليقظة" واذكر ان صاحبها الاستاذ عبد الله بشارة دخل ذات يوم ومعه صديقه فؤاد مطر وكان ما يزال يعمل في النهار اللبنانية سأل عبد الله بشارة صديقه فؤاد مطر ان يتصفح المجلة ويبدي رأيه فيها وكان الزميل فؤاد مطر متواضعا الى درجة اخجلتنا ، فلم يقل شيئا فالمجلة مسكينة ليس فيها من المحررين معي غير ليلى السائح ومحبوب العبد الله حين عدت الى بغداد في ١٩٧٤/١/١ عملت في جريدة الثورة، وعملت سكرتير تحرير في مجلة الجندي ثم مدير تحرير جريدة "التآخي" ثم "العراق" وجريدة الجبهة الوطنية القومية التقدمية وفي جريدة الجمهورية حيث كنت اكتب في صفحتها السياسية، كما اكتب في صحف عديدة بتواقيع مستعارة (لن اكشف عنها الان) عملت ايضا مراسلا لجريدة – الجزيرة– السعودية التي حققت لها سبقا صحفيا اكثر من مرة، ابرزها خبر انسحاب القوات العراقية من الاراضي الايرانية في حزيران يونيو عام ١٩٨٢ الذي نشرته الجزيرة في طبعة ثانية ، قبل أي جريدة عربية او عالمية.

الان ..ماذا حققت لي مهنة المتاعب على الصعيدين المعيشي والاجتماعي؟

الجواب.

كنا في العهود السابقة نجلب معنا "بطانية" نلفها بعناية ونتركها في زاوية الغرفة التي نعمل فيها.. حتى اذا ارتأت سلطات الامن استضافتنا لديها، حملنا البطانية خفافا ومضينا الى مصيرنا المجهول، اما الان فلا اقول اكثر من استضافتك في بيتي – كما تضيفني الان علي صفحات التضامن ، سوف تجد انك موزع الشوق بين مكتبتي وحديقتي واذا صادف وجاء ابني ايار من الجبهة في اجازته فسوف يسارع بقطف وردة يهديها لك ويجلس معك، يروي لك حكايات الجبهة.

لم ينته ، حتى الان تدفق الذاكرة الصحافية بل ربما هو يبدأ الان، فنحن الان نبدأ من جديد، لكنني التزاما بشرط الالف كلمة اتوقف عن الكلمة الالف – ماعدا السهو والخطأ –... وشكرا.

ملاحظة:– لانصيحة لدي لمن يتطلع الى دخول مهنة المتاعب فالنصيحة هنا باطلة باطلة!

صالح سليمان صحفي عراقي رائد رحل قبل ايام بعد ان امضى في الصحافة اكثر من ٥٠ عاما

من مجلة التضامن في عددها المرقم 282 المنشور في عام 1988

"تمثيلية الاسبوع" في الاذاعة العراقية

عبد القادر حسن امين

هنا بغداد!
تسمعون الان تمثيلية تقدمها فرقة الاذاعة الخاصة..
ويرهف الجميع السمع صغاراً وكباراً نساء ورجالا لعلمهم ان الفرقة العتيدة ستنقلهم الى جو العائلة البغدادية لتريهم جوانب طريفة مما يحدث بين الزوج وزوجته والحامة وصهرها، او بين الابن الكسول وامه الحريصة على مستقبلهن او بين الرجل المبتلي بداء اجتماعي:
كالخمرة وزوجته وما الى ذلك..
يجري ذلك كله في جو مشبع بالفكاهة والنادرة اللطيفة واللغة بين فصيحة لا تعلو على افهام سواد الناس، او عامية بغدادية صرف تستخدم الفم جميعه فهي عريضة كل العرض، سريعة منتهى السرعة تمتزج بحدة ظاهرة غدت سمة لاصقة بالبغدادي...
يولع اهل الجنوب بسماع تلك اللهجة، يطربون لها، ويلذ لهم كثيراً ان يقلدوها متندرين بها ولن يقل شغف الشمال عن ذلك..
وقد ظفرت هذه الفرقة بشعبية كبيرة لانها عرفت الطريق الصحيحة الى قلوب الناس فخاضت في مشاكلهم الخاصة باسلوب بارع ينتهي في النتيجة الى حل مرضي هو بمثابة التوجيه والارشاد الى ما ينبغي ان يسلكه المرء لو كتب له ان يتعرض لمثل ما

يتعرض له ابطال التمثيلية..

يعرف الجميع ان التلفون في البيت مشكلة معقدة فجرسه لاينقطع رنينه في الصباح الباكر او في ساعة متأخرة من الليل، وتولع الزوجية بصفة خاصة باستعماله فتنهض مع الطير لتسأل امها عن قطعة قماش اعجبتها او تصف لها خياطة ماهرة في حين ان الزوج على على اجر من الجمر ينتظر فطوره ليدرك وقت الدائرة.. ولكن الزوجة من ذوات الدم البارد او كأنها خلقت في ثلاجة فتطيل الحديث مع امها مهتمة بالقماش اشد الاهتمام منتقدة الخياطة السابقة شارحة عيوبها الكثيرة لهذا فهي معنية جدا ان تجد لها خياطة ترضي ذوقها وذوق صديقاتها...

تقوم الخادمة بتهيئة الفطور ولكنها تنسى ان تضع له الملح فينادي زوجته بطلب الملح غير ان الزوجة ما زالت امام التلفون تتحدث ويلح في النداء حتى يجف الريق وينفري الكبد، فيقوم الزوج غحن فطوره غضبان ويهرع الى دائرته جائعا.. وتعود الزوجة الى صوابها لتعلم ان زوجها خرج من غير فطور فيسيطر عليها الم شديد وندم كبير فلا تقبل نفسها على الطعام وتنصرف عنه اسوة بزوجها المسكين الذي جنى عليه التلفون..

ويعود الزوج بعد انتهاء العمل ويدور بين الاثنين حديث فيه الكثير فيه الكثير من العتاب والشكوى، اذا اشتد الرجل لانت المرأة واذا وجدت المرأة مجالا لمهاجمة زوجها في هدوئه فعلت ذلك لتكشف له عن اخطائه، يصر الزوج على ان يرفع التلفون ليبيعه في المزاد العلني.. ولا تعترض المرأة بل توافق على ذلك لتجد السبيل الى مرضاة زوجها..

وهكذا تنقلب التمثيلية متعرضة لجوانب مختلفة يعود الناس ان لايسيئوا استعمال التلفون فيها وهي تلمح من غير ان تصرح ان التلفون اداة تستخدم لراحة الناس لا لازعاجهم .. وهذه الخطة تنسجم كل الانسجام مع رغبة القائمين على شؤون الاذاعة في ان تكون الاذاعة وسيلة من وسائل التعليم والتهذيب لا وسيلة تهريج وصخب تصم الاذان وتورث الصداع وحسنا فعلت وخيراً ارادت...

وقد عين الاستاذ عبد الله العزاوي منذ تأسيسها قبل خمس سنوات مراقباً لفرقة التمثيل والعزاوي نكتة بارعة شكلا وموضوعاً فهو يزن –كحد ادنى –١٢٠ كيلو غراما يعادل ذلك الوزن خفة دم ولطافة ظل وبراعة في المهنة وتستحوذ على الانتباه كثيرا (بثينة ابراهيم) فهي في حزنها وفرحها وضحكها وبكائها مجيدة كل الاجادة كما ان لصوتها وقعاً حسناً في النفوس ويبرع عبد الستار البصام بصورة تلفت النظر في تمثيل الرجل الغضوب الذي لايمهل زوجته فرصة تدبر بها شأنها وهو يتقمص بنجاح شخصية ابن البلد البغدادي.

ولن تقل مزايا جلال فضلي واكرم جبران وفارس رشيد وشكري العقيدي وسهيلة وناهدة يوسف عن مزايا من تقدم...

ان فرقة الاذاعة العراقية التمثيلية جديرة بالاستماع فلنستمع معا اليها مساء كل جمعة او مساء كل يوم ثلاثاء..

مجلة اهل النفط في عددها 56 في عام 1956

من مفكرتي

خيري العمري

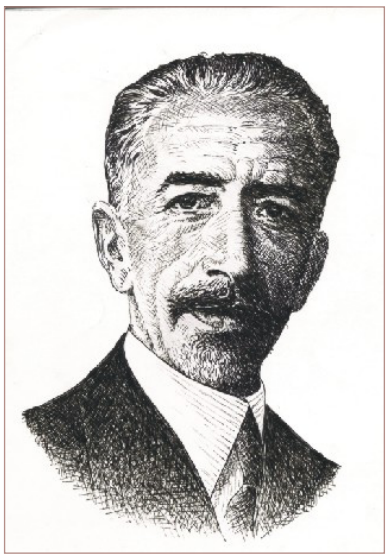

توفيق الخالدي بن عبد القادر الخالدي الموظف في بلدية بغداد في العهد العثماني وجده معروف الخالدي مزارع له اخ واحد وشقيقتان بدا حياته ضابطا في الاعدادي العسكري في بغداد وسافر الى اسطنبول تم تخرج ضابطا مهندساً عسكرياً في الاراضي السنية في العمارة ونسبة العائلة ترجع الى خالد بن الوليد من السليمانية الدار التي يسكنها تقع في محلة جديد حسن باشا خلف جامع السراي قرب دار (علي المان).

×تدرج في الرتب العسكرية حتى بلغ رتبة مقدم واختير نائبا في مجلس المبعوثان عن بغداد ممثلا عن حزب الاتحاد والترقي وبقي حتى الحرب العالمية الاولى عام ١٩١٤ حيث اشترك متطوعاً في الجيش العثماني تحت قيادة سلمان عسكري بك وعهدت اليه قيادة جبهة الحويزة وبعد اجراء بعض التغييرات العسكرية تولى هذه الجبهة (فاضل الداغستاني) وكان قبل ذلك مدير الجندرمة في بغداد.

×بعد الاحتلال عاد الى بغداد وكان الانكليز يريدون تأسيس عرش للعراق رشح له الامير عبد الله فبثوا الدعاية له ولكن بعد ان تغيرت الاحوال في سوريا واسقط حكم فيصل على يد الفرنسيين اتجهوا الى فيصل فأخذ بعض الساسة يعارضون ذلك فشكل عبد الرحمن النقيب حزبا برئاسة ولده محمود النقيب نيابة عنه دخل فيه طالب النقيب وتوفيق الخالدي دعا الى الجمهورية وحدث ان اولم النقيب وليمة جمع فيها العشائر وخطب في المأدبة خطبة شديدة اللهجة غضب لها الانكليز فدبروا له مكيدة واغتيل عام ١٩٢٢-١٩٢٣ واجروا الانتخابات التي اسفرت عن فوز الامير فيصل فلما تربع على العرش افهمه نوري السعيد وجعفر العسكري ان هذا وذاك كانوا من الجمهوريين فاستقر الامر على اغتيال توفيق الخالدي باعتباره من اقوى شخصياتهم وقد دفعهم على ذلك ما لاحظوه عليه من تقدم مطرد وانتقاله من منصب الى اخر احسن منه وما لقيه لدى دار الاعتماد من حظوة وتقبل اثارت عندهم مشاعر الخوف والقلق من ان تظهر النزعة الجمهورية وقد حدث قبل وقوع حادثة اغتياله بيوم او يومين ان زاره المندوب السامي ٠هنري دوبس) الذي كان قد حل محل بيرسي كوكس منذ فترة قصيرة في مزرعته الواقعة في اليوسفية التي تقع مزارعها فيها وبعد ان شرب الشاب اصطحب معه توفيق الخالدي بسيارته وأوصله الى قرب جامع الساري ليذهب الى داره فلما بلغ ذلك جعفر العسكري ونوري السعيد جن جنونهما من هذا الاحتضان الذي اخذ دوبس يبديه للخالدي فاسرعوا في تنفيذ خطتهم واستأجروا داراً لهذا الغرض اعدوها في النهار للعبث وشرب العرق وبالليل لحبك المؤامرات فكان حميد كنه وعبد الله سريه وشاكر القره غولي يجتمعون فيها، وبينما كان الخالدي عائداً الى داره في ذات مساء تربص له ثلاثة اشخاص مجهولي الهوية واطلقوا النار عليه واردوه صريعاً فجاءت الشرطة وقامت بتحقيق شكلي قام به السرجن ديل نسيب نعومي وحسام الدين جمعة.

×وكان الحاكم نوري القاضي وكان المتصرف يومها رشيد الخوجه فلم يسفر التحقيق عن شيء فدفن في مسجد امام بشير الحافي في الاعظمية وعمل له عزاء كبير وقد منعت الحكومة اقامة فاتحة له ولكن تشييع جنازته جرى بفخامة حيث حضر خلق كبير للتشييع ومن الغريب ان نوري السعيد وجعفر العسكري كانا من ضمن المشيعين وكان نوري يبكي ويبدي الماً شديداً عليه وكان عمر الخالدي لايتجاوز (٤٠-٤٥) سنة عندما كان قتل ، برز كخطيب في مجلس (المبعوثان) وخاصم نواب السيد طالب النقيب لاسيما عندما طرح موضوع اغتيال بديع نوري في البصرة وكان معه من نواب العراق فؤاد الجيبه جي وشوكة باشا مراد بك والرصافي واكثرهم من حزب الاتحاد.

×صفاته انه خلوق ومؤدب وجميل الصورة اسمر مشرب بالحمرة غير سمين او ضعيف مربوع القامة شعره اسود يتكلم الفرنسية والالمانية بطلاقة لانه كان قد سافر الى المانيا في العهد العثماني لشراء السلاح، وهو يعد من زمرة الضباط المثقفين ، هوايته المطالعة ولاسيما مطالعة الكتب العسكرية من اصدقائه حكمة سليمان ، عبد الجبار بك مجيد الشاوي، شاكر فهمي وبقى يرتدي الطربوش الى ان قتل..

صلاته مع عبد المحسن السعدون طيبة وهو الذي قدمه الى عبد الرحمن النقيب ودفعه وكان الانكليز غير مبالين اليه.

×ملاحظة: كتب نجدة فتحي صفوة مقالة طبعها على الالة الكاتبة عن هنري دوبس والملك فيصل الاول ولم ينشرها.

من جريدة الاتحاد في عددها المرقم 170 في عام 1990

من مظاهر التقدم في العراق

الكوفة الحديثة

انيس زكي حسن

من رأى الكوفة منذ خمسة اعوام ورآها اليوم رأى ولمس معجزة جبارة وقفزة هائلة في مضمار التقدم والرقي والازدهار..

فقد كانت قرية صغير تحاذي شاطئ الفرات، طرقاتها وعرة وبيوتها صغيرة غير منتظمة، تشرب من ماء النهر مباشرة ويتطبب اهلها في مستوصف صغير متواضع ويربطها بمدينة النجف الاشرف خط متهدم تسير عليه عربات (ترام) عتيقة تجرها الخيول..

وتزورها اليوم فلا تعبر الفرات على الجسر المتداعي الذي ينهض على الطوافات وانما تشرف عليها من علياء جسر شامخ حديدي متين البناء ضخم الركائز بديع الانوار يبدأ من ساحة واسعة جميلة التنسيق وينتهي الى مرفقين رائعين احدهما نادي المتنبي للموظفين بحدائقه الغناء وهو يقع على اليسار ثم تلتفت الى يمينك فيطالعك مبنى ضخم عال تحيط به حديقة كبيرة وارفة الظلال انتشرت فيها الارائك المريحة هو مستشفى الفرات الاوسط الذي يتسع لأكثر من اربعمائة مريض هم نزلاؤه الان فعلا والذي يخدم الانسانية فيه اطباء وجراحون واختصاصيون بالعشرات وموظفون صحيون بالمئات وادوات حديثة بالالاف..

فاذا انعطفت ناحية اليمين ايضاً وجدت نفسك في شارع مطل على النهر مسلح بسداد متين ومزين بأشجار الصفصاف قد يزيد طولا على شارع ابي نواس في بغداد او على كورنيش البصرة الشهير!

وعلى جانبه الاخر تقوم الحياة الاقتصادية بمعاملها ومخازنها وتجارها وصناعها بينما تشمخ السفن النهرية بأشرعتها والبواخر النهرية باعلامها المرفرفة على صفحة النهر وهي تحمل خيرات العراق من المزارع والبساتين الى المستهلكين في الداخل والخارج.

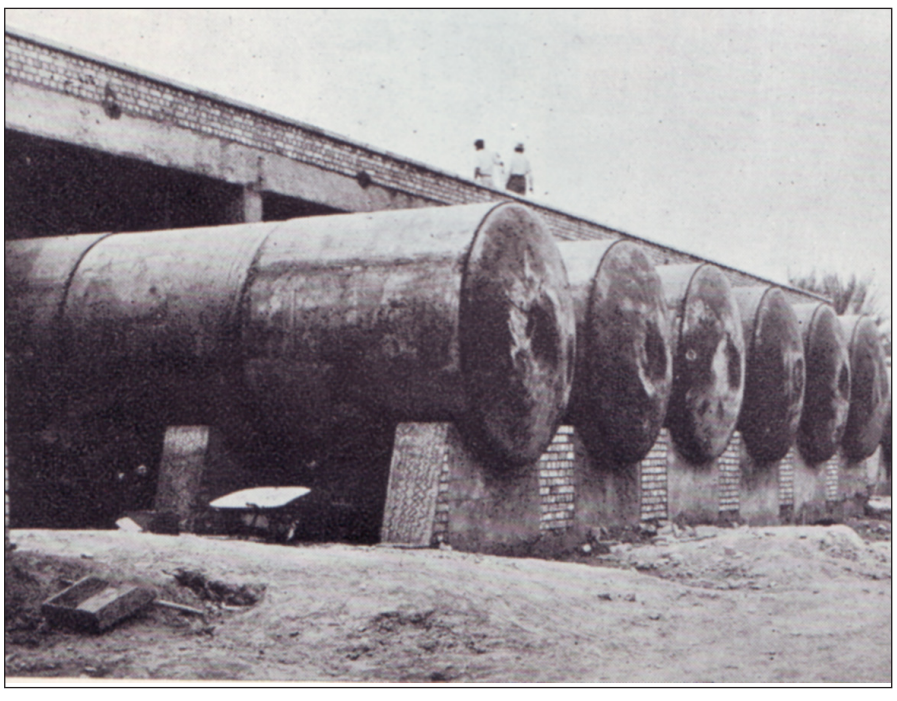

ثم تصغي فتسمع ضجة الالات وصخبها وتطالعك خزانات هائلة واحواض جبارة فاذا سألت قيل لك هذا اضخم مشروع لاسالة المياه في الشرق الاوس!

وتسير حتى تشم عبير الحقول وتسمع هسهسة السنابل وتصغي الى صرير دواليب النواعير فتتنسم عبر حياة الفلاح الحرة الكريمة وتحس حولك بالعمل المنتج ما بين حارث وزارع وقاطف أو اعرابية تقود قطيعاً من الماشية الى النهر.. وفي تلك المنطقة الهادئة يقوم القصر الملكي في الكوفة جميل البناء واسعاً غارقاً بين الحدائق والاغصان المثمرة..

ثم تترك الشاطئ وتتغلغل في شارع واسع رائع تتلألأ فيه مصابيح الفلورسنت الهادئة وتحضنه البساتين واشجار النخيل والبرتقال بلطه مجلس الاعمار بأحدث الالات الفنية وزوده الذوق العراقي البديع بالساحات والارصفة على احدث طراز واجمل تنسيق، ثم تجد نفسك بين مئات من الدور المخططة التي ينهمك اهلها مع العمال في بنائها لهم ولمستقبل اولادهم بعد ان شجعتهم الحكومة بمشاريعها الضخمة الرائعة فخلقت لهم منطقة واسعة جديرة بالسكنى حتى امتدت الكوفة فاتصلت بمسجدها العظيم المشهور الذي كان امير المؤمنين علي بن ابي طالب رضي الله عنه يتدفق من اعلى بحكمه المأثورة وعظاته الرائعة.

وتجد نفسك في ساحة واسعة جدا تنتهي اليها جميع الشوارع وتلتمع فيها الانوار تتوسطها روضة مزدهرة ويطل عليها مسجد الكوفة الشهير بواجهته الرائعة التي ما يزال الصناع المهرة يعملون فيها مدفوعين بدافع الايمان والضمير الانساني الذي تثيره فيهم مشاعر الدين النبيلة الرائعة قبل دافع الاجر، ثم تنطلق من اعلى المأذنة صيحات المؤذن تسبح لله وتدعو الناس الى الصلاة فتشعر وكأنك قد ابتعدت عن هذه الحياة الدنيا وعشت في عالم اخر من الوئام تحتضنه السعادة، ويشيع فيه الاطمئنان والرضا.

وفيما انت مسحور بهذه وذاك من المناظر الرائعة الاخاذة ترى من حين لاخر تلك السيارات الجميلة الحديثة التي تمتاز بارائكها المريحة ونظامها البديع وهي تنقل الناس بأرخص الاثمان بين الكوفة والنجف الاشرف وتسأل عنها فيقال لك انها تابعة لمشروع الباصات الجديد الذي انشأته الحكومة..

ولقد تعود الى صميم الكوفة فتجدها في اعماقها قد حافظت بعض المحافظة على اساليبها القديمة فترى باعة الاقمشة يملأون الاسواق وهم يتربعون على السجاد الثمين بين اكداس اقمشتهم الزاهية الجميلة الى جانب ذوي المهن الاخرى.

وتحس ايضا وانت ترى ان العمل ما يزال قائماً هنا وهناك انك يجب ان تعود الى الكوفة بعد اشهر لترى كيف تتمشى الروح الجديدة فيها وكيف ستصبح الكوفة بين عشية وضحاها مدينة تضارع بجمالها وتنسيقها ومرافقها اجمل مدن العراق.

اما انا فقد آمنت بان العراق يبني المستقبل وبان في العراق شعباً سيصل بهذه الروح وهذا الاصلاح وهذا العهد الجديد الى ارقى درجات الرقي الاجتماعي.

من مجلة اهل النفط
في عددها المرقم 48 **والصادرة**
في عام 1955

مستشفى الفرات الاوسط وهو من احدث الابنية في العراق

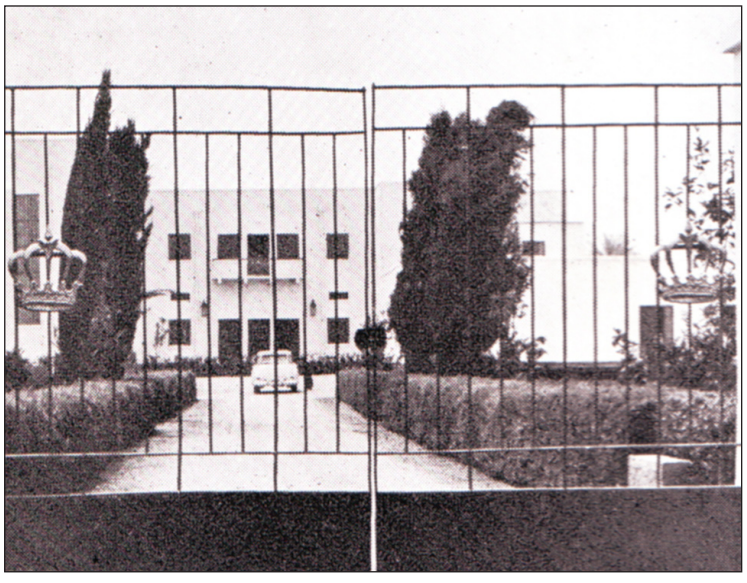
مدخل القصر الملكي في الكوفة

اسوار مسجد الخليفة في الكوفة وقد بنيت هذه الاسوار عالية منذ القدم لصد الغزوات عن المدينة

ذاكرة العدسة

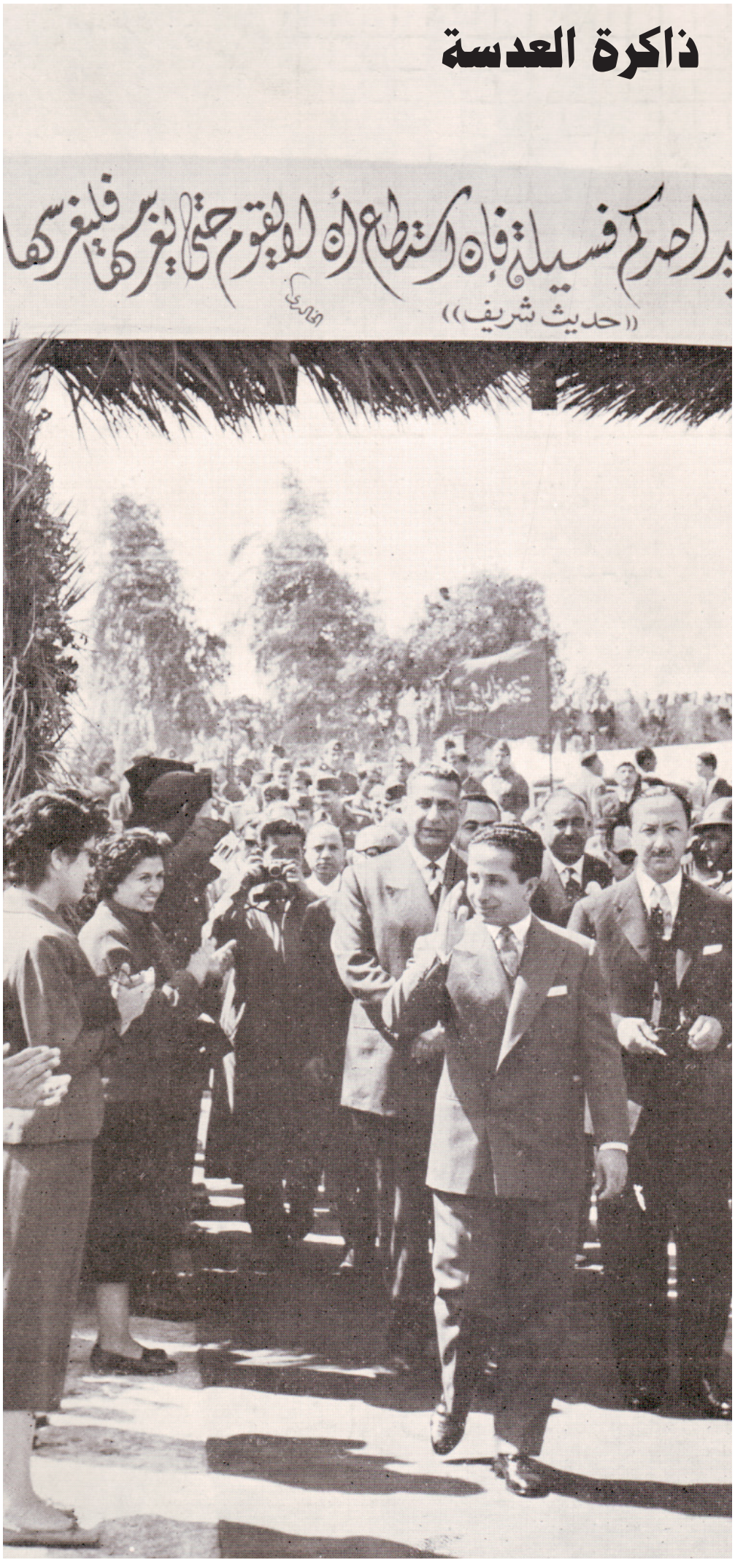

الملك فيصل الثاني يفتتح الاحتفال بعيد الشجرة في بغداد عام ١٩٥٦

السليمانية

فاضل ملا مصطفى

في عام ١٧٨٨ قام ابراهيم باشا بابان (ولد في سليمان باشا الكردي) ببناء مدينة السليمانية اشادة بذكر سليمان باشا حاكم بغداد ونقل عاصمته من (لاقه لا جولان) الى موقع المدينة الحالي.

والسليمانية تبعد عن كركوك (١١٤) كيلو مترا وعدد نفوسها لايقل عن (٥٠) الف نسمة وتبلغ مساحتها (٩٥٤٣) كيلو مترا مربعا وتشتمل على (٤) اقضية و(١٦) ناحية.

كتب المستر كلوديوس جيمس ريج المقيم البريطاني في بغداد عام ١٨٢٠ في كتابه (رحلة ريج في العراق) عن السليمانية ما يلي: طالسليمانية تقع في منطقة (سه رجنار) وتحتوي المدينة الان استناداً على اصح المعلومات التي استقيتها على (٢٠٠٠) دار للمسلمين و(٣٠) دارا لليهود و(٩) دور للمسيحيين الكلدانيين الذين لهم كنيسة صغيرة كئيبة وخمس دور للارمن وهؤلاء لا قسيس لهم ولا كنيسة لهم وخمسة خانات (كروان سراي) وخمسة حمامات منها واحد فقط جيد وخمسة جوامع واحد جيد ايضاً".

اما اليوم فقد تغير كل شيء على ما كان عليه في السابق اذ شيدت على انقاض ذلك الماضي نهضة جديدة شاملة طمست معالمها الحديثة صور الماضي الباهتة وخطا هذا اللواء خطوات واسعة نحو التقدم والارتقاء وحققت له المناهج الضخمة التي اعدتها الوزارات المختلفة نهضة جديدة جعلته في مصاف الالوية المتقدمة في العراق.

المكتبة العامة وبيت الشعب

انشئت في قلب المدينة وخصص لها مبلغ قدره عشرة الاف دينار وسوف يتم تخصيص (٨,٠٠٠) دينار في ميزانية السنة المقبلة لاكمالها، وتتشمل هذه البناية على مكتبة عامة وجناح للموسيقى والتمثيل مع مسرح وجناح للرياضة وجناح لتوجيه القرويين وارشادهم عندما يفدون من الاماكن النائية سعيا وراء تعقيب معاملاتهم الرسمية او لرفع ظلامتهم الى الدوائر ذات الشأن ويقوم الموظفون المختصون بادارة هذا الجناح بمرافقة القرويين الى الدوائر والمؤسسات وانجاز معاملاتهم بيسر وسهولة.

المعهد المهني

بناية مستقلة مخصصة لها ١٠,٠٠٠ دينار وسيضاف مبلغ ٣,٠٠٠ دينار اخرى من ميزانية السنة المقبلة لاكمالها وتضم هذه البناية المعاهد المهنية لتعليم البنات اللواتي اخفقن في مواصلة الدراسة.

دور سكن للمعلمين

تحقيقا لاستقرار المعلمين والمعلمات وتخليصهم من ازمة السكن التي كانوا يعانونها خصص مبلغ ٣٣,٠٠٠ دينار لتشييد الدور لهم في القرى والارياف وفي النواحي والاقضية.. فتم انشاء (٣٥) دارا وكانت كلفة كل دار (٨٠٠) دينار وكذلك شيدت ثمانية دور اخرى بالحجر والاسمنت وبالبلوكات الكونكريتية بكلفة (٤٢٠) دينار لكل دار، وتم تشييد احدى عشرة دارا غيرها في القرى بالحجر والطين بكلفة (٣٢٠) دينارا لكل دار.

ابنية المدارس

تنفيذا لمشاريع التعليم ومحو الامية ولازدياد اقبال الاهلين على المدارس تم تخصيص ٦٦,٠٠٠ دينار محسوبا على الباب الثاني لمجلس الاعمار فتم انشاء ست مدارس عصرية حديثة وتمشيا مع التطوير خصصت الادارة المحلية مبلغا قدره ٢٣,٤٠٠ دينار لانشاء المدارس في مناطق اللواء الاخرى فانتهى ذلك الى تشييد ٢١ مدرسة حديثة وفوق ذلك كله صرف مبلغ قدره ٦٥٠ دينارا للتعميرات والاضافات في المدارس القديمة، وقد اعطي بناء مدرسة روضة الاطفال في السليمانية بطريق التعهد بمبلغ ١٠,٠٩٤ دينارا وكذلك اعطي بناء مدرسة ابتدائية كاملة في قضاء رانية بالتعهد بكلفة ٨,٥٤٥ دينارا.

وقامت الادارة المحلية بشراء ست مكائن لصنع البلوك بمبلغ ٢٢٥٠ دينارا لتسهيل انجاز الاعمال الانشائية.

ولمباني المستوصفات ودور المضمدين خصص مبلغ قدره (٨,٠٠٠) دينار لهذه الغاية فتم انشاء (١٧) مستوصفاً مع دور المضمدين.

العاملون في النفط 1958

جسور بغداد قديماً وحديثاً

صفاء الحيدري

الحديث كثير في التاريخ عن مدى الرقي العمراني والتوسع الحضاري اللذين بلغتهما بغداد ايام العباسيين.

اما قبل ذلك فان المظنون ان مدينة بغداد كانت مجرد قرية من القرى القديمة، احدثت قبل الاسلام، تقع حيث تقع الصالحية الان، وتحيط بها البساتين والمزارع التي كانت تستقي من ماء الفرات، وقد تطاحنت عليها مختلف الاجناس وانصهرت فيها مختلف التيارات –دينية وفكرية وعقائدية وحضارية – فجعلت لها شأناً واي شأن في تاريخ العالم.

وبقدر ما تسرف هذه المصادر في التحدث عن قيمة بغداد التاريخية، تشح في ذكر التفاصيل التي نحن بصددها الان، ونقصد الوسائل التي كان يتم بوساطتها اتصال الناس عبر نهر دجلة. فالمعروف بصورة قاطعة ان مدينة بغداد في كل مراحلها التاريخية كانت تمتد شرقي دجلة وغربيها. وان معظم الحكام الساسانيين و المماليك السلجوقيين كانوا يبنون قصورهم على ضفتيها وان المزارع والبساتين والقرى كانت تمتد الى ما وراء هذه القصور مسافات شاسعة، وان الناس بين الضفتين كانوا يتزاورون لاسباب شخصية او معيشية ، فكيف كان يتم هذا الاتصال؟ ابوساطة القوارب والطوافات والعوامات، ام بوساطة اخرى، كالجسور مثلاً؟

مما لاريب فيه، ان الزوارق والعوامات وغيرها وسائط لا غنى عنها للناس ولكنها ليست ذات مفعول كالجسور ، وقد ذكرت المصادر ان اول جسر عقد ببغداد قبل العباسيين كان جسراً ساسانياً انشئت قاعدته امام دار الحاكم الساساني نيسابور (وهي الدار التي عرفت ايام العباسيين بالقصر العباسي وتقع مكان المدرسة الثانوية بالكرخ الان) وقد كان اول قائد عربي عبر عليه ودمر الفرس هو "النسين بن ديسم" احد قادة خالد بن الوليد عام ١٢هـ ٦٣٣ م وقد استفاد العباسيون من كرسي هذا الجسر الشرقية والغربية فقعدوا عليه عام ٣٨٣ هـ (٦٩٣) م جسراً هو الذي نزل عنده فيما يعد الرحالة الشهير ابن جبير عام ٥٨٠هـ (١١٨٤) م وتعددت الروايات بعد ذلك عن جسور بغداد، فمن قائل ان عددها ثلاثة، ومن قائل انها خمسة ومن ذاكر ان من هذه الجسور ما كان للرجال، ومنها مما كان خصيصا للحريم وهذا شيء جديد في التاريخ اذ لم يسبق ان عقدت جسور خاصة بالنساء في الدولة العباسية ، وقد جاء في كتاب "مناقب بغداد" لابن الفرج الجوزي المتوفى عام ٥٩٧هـ ان اول من عقد الجسور ببغداد كان المنصور، فانه لما بنى قصره الخلد في عام ٥٩هـ عقد الجسر عند باب الشعير وروى انه عقد ثلاثة جسور احدها للنساء ثم عقد لنفسه وحشمه جسرين بباب البستان وعقد الرشيد بعده عند باب الشماسية جسرين اخرين فلما قتل الامين عطلا وبقي منها ثلاثة ، ثم عطل واحد آخر.

وروى انا ابا علي بن شاذان قال– انه ادرك ببغداد وفيها ثلاثة جسور الاول يحاذي سوق الثلاثاء والثاني بباب الطابق والثالث عند الدار العزبة، وقيل ان الذي كان عند الدار العزبة نقل الى باب الطاق، فصار هناك جسران يمضي الناس على احدهما ويرجعون على الاخر.

ثم لم يبق غير جسر واحد عقد عند مشرعيه الروايا من الجانب الغربي ولم يكن في زمان الخليفة المسترشد ومن بعده من الخلفاء غير جسر واحد كان عند نهر عيسى ثم نقل الى باب القرية ثم عملت المرأة الملقبة "بنفشة" جسرا جديدا جعلته مكان هذا الجسر العتيق ورد ذلك الى مكانه من نهر عيسى وذلك في زمن الخليفة المستضيء بامر الله، فصار للناس جسران، والذي يتضح من هذه السطور ان بناء الجسور لم يقتصر على الخلفاء.

وانما تعداه الى الاشخاص بل النساء ولكن ما جاء في المنتظم لابن الجوزي (٥٧٠) هـ يفسر ان بناء بنفشة للجسر كان نتيجة امر من المستضيء بامر الله ومما رواه معظم المؤرخين ان بغداد فيها دائماً جسران على الاقل وان بلغ عدد هذه الجسور في عصر الخليفة هارون الرشيد الذهبي الى خمسة.

وان هذه الجسور كانت توضع دائماً تحت امرة موكلين كالجسر الذي عمله عضد الدولة ونصب السيد محمد بن الحسن الاسعد السامرائي متولياً عليه، وان منها ما كان له ايضا صاحب كأسحاق بن ابراهيم صاحب الجسر في شارع الحدادين وان قسماً من هذه الجسور تعرض للحرق، كما حدث عام ٣٠٨ هـ حيث شجع غلاء المعيشة على خروج الناس وحرق مجالس الشرط والجسور وان منها ما حمله التيار بكليته وقذفه بعيداً هو ومن عليه كما حدث عام ٤٣٠ هـ حيث ارتفع دجلة ١٦ ذراعاً بين يوم وليلة وقذف بالجسر ومن كان عليه.

وقد جاء في صبح الاعشى للقلقشندي ان بين الجانبين على دجلة جسرين منصوبين شرقا بغرب على سفن وزوارق اوقفت في الماء ومدت بينها السلاسل الحديد المكعبة الثقال وفوقها الخشب الممدود وعليها التراب وتقوم على ضفتي دجلة قصور الخلافة، فلا عجب اذن في ان يحمل التيار هذا الجسر ومن عليه كما حدث عام ٣١٦ هـ اذ زادت دجلة زيادة مفرطة قطعت الجسور ببغداد وغرق من الجسارين جماعة ، فقد كانت جسورا لا تتحمل قوة التيار الا الى حد معين.

ويقول الرواة ان الجسور كانت مواضع للنزهة بالاضافة الى كونها وسائل للعبور فقد كانت الناس تجتمع لديها بعد العصر من كل يوم وفي الايام المقمرة ليلا على الاخص على اعتبارها متنزهات وقد جاء في رحلة ابن بطوطة انه كان ببغداد جسران اثنان معقودان والناس يعبرونها ليلا ونهارا رجالا مع نساء فهم من ذلك في نزهة متصلة، وقد كان ابن بطوطة قد زار بغداد عام ٧٢٧ هـ (١٣٢٦)م ثم عاد اليها سنة ٧٤٨ هـ (١٣٤٧) م.

اما جسور بغداد اثناء العهد العثماني فكانت جسرا في الاعظمية يسمى جسرا الاعظمية والجسر القديم قرب سوق السراي.

كلاهما مصنوع من الواح الخشب المحدود الى شعائن خشبية مربوطة بالسلاسل وقد مد على الضفتين تحتها مجال للمقاهي وبائعي السكاير والمأكولات لنزهة الناس، وكان الناس يقصدونها مساء وكلما انقطع الجسر واعيد اتصاله احتفلوا بذلك احتفالاً كبيراً فخرجت الزفة بالطبول والمزامير والراقصين وخلفهم الاطفال وكلما سمع القوم في بيوتهم صوت الطبول في غير ايام رمضان عرفوا ان هناك احتفالا بمد الجسر، وقد احرق العثمانيون هذا الجسر عندما انسحبوا من بغداد وظل يشتعل طوال النهار.

وعندما دخل الانكليز بغداد أنشأوا جسراً مكان هذا الجسر وجسرا اخر سموه "جسر مود" كذكرى للقائد الانكليزي الذي فتح بغداد، واتخذوا عوامات حديدية له بدلا من الخشب ثم سكبوا عليها القير وبلطوها وكذلك فعلوا بجسر الاعظمية، كما مدوا جسراً آخر اثناء الحرب العالمية الثانية في الزوية من الكرادة الشرقية يربطها بالوشاش لتسهيل انتقال الجيوش، وبانشاء الحكومة ١٩٣٧ –١٩٣٨ م جسريها الجديدين جسر المأمون وجسر الملك فيصل الثاني اللذين كلفا (٧٢٠) الف دينار نقل جسر مود الى جوار عمارة فندق سمير اميس ثم لم يلبث ان نقل الى سامراء.. وبذلك اصبح عدد جسور بغداد اربعة، اثنان منها متحركان والاخران ثابتان ، ثم لم يلبث الانكليز ان رفعوا جسرهم من الكرادة بانتهاء الحرب العالمية الثانية فبقيت ثلاثة جسور في بغداد فأنشأت الحكومة العراقية عام ١٩٤٩ جسرا حديديا لوسائط النقل والقطار في العيواضية قرب البلاط الملكي كما بوشر بعد انشاء مجلس الاعمار ببناء جسرين ثابتين اخرين يستغرق احدهما وهو الذي بالباب الشرقي زهاء (٣٢) شهراً، وسينتهي اول العام القادم.

ويستغرق الثاني وهو جسر الاعظمية (٢٨) شهراً. وسينتهي في نهاية هذا العام، وقد كلف انشاؤهما مليونين وربع مليون دينار، وبذلك سيكون عدد الجسور في بغداد خمسة كلها ثابتة عدا جسر الاعظمية العائم الذي سينقل الى جهة اخرى للاستفادة منه في مكان اخر.

اما الجسران الجديدان فسيكونان اعرض من الجسور السابقة واجمل واحدث تخطيطاً منها. وبذلك يتحقق لبغداد قسم آخر من الخطة التي ستجعل منها عاصمة عصرية تليق بدولة حديثة تواكب سير الحضارة في القرن العشرين.

صفاء الحيدري شاعر عراقي راحل

هذا الموضوع من ضمن اوراقه التي نشرها في مجلة بغداد

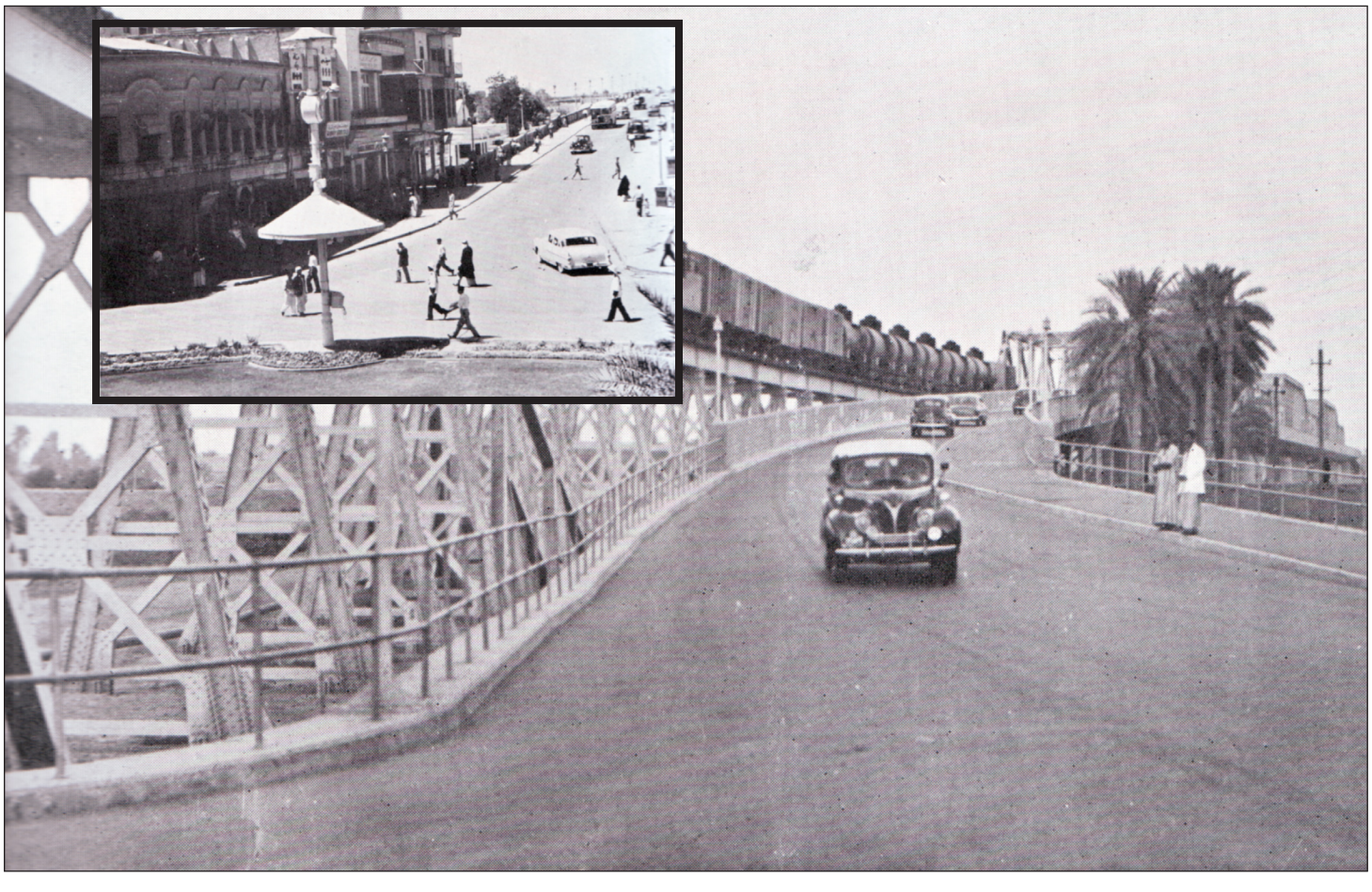

هل أحبت فاطمة رشدي فناننا حقي الشبلي؟

أسرار جديدة في حياة رائد المسرح العراقي

قصة اللقاء الأول بين "ولد" المسرح و "صديق الطلبة"

صادق الازدي

يوم اعلن خبر وفاة المرحوم حقي الشبلي، قبل شهور بادر بعض الذين عرفوه الى الكتابة عنه. واشار اكثر من واحد منهم الى العلاقة الغرامية التي قامت بينه وبين نجمة المسرح المصري السيدة فاطمة رشدي وقد ذكر الزميل الاديب الاستاذ عبد القادر البراك في تعقيب له نشرته جريدة "الاتحاد" ان فاطمة رشدي اشارت الى فناننا المسرحي في مذكراتها، ولكنها اخطأت في كتابة لقبه، اذ كتبته "الشلبي" بدلا من الشبلي!

×والسؤال الان:هل احبت فاطمة رشدي فناننا حقي الشبلي!؟

والجواب: هو "نعم!" وهنا يرد الى الذهن سؤال اخر هو: وهل احبها هو بدوره؟!

ويكون الجواب هو نعم كذلك،لأنه سافر من اجلها من بغداد الى القاهرة ولكن ليس لدى الصق النفس به، واقربهم اليه، اية معلومات سمعوها منه عن علاقته بها، وما وقع بينهما لان في القاهرة، ولا في بغداد قبل ذلك!

الشبلي والحركة المسرحية!

×وقبل الخوض في تفاصيل العلاقة العاطفية التي نشأت بين الشبلي وفاطمة رشدي يحسن بنا العودة الى بداية اهتمامه بالتمثيل المسرحي، وكانت يوم كان من طلاب مدرسة التفيض الاهلية في بداية العشرينيات ، كانت بغداد قد عرفت المسرح ولكن الفرق التي دارتها كانت شبه بدائية ومنها فرقة عبد النبي (كشكش بيه) وفرقة (البدوي) وفرقة ابراهيم سامي، وفرقة ارطغول بك! هذا إضافة الى مسرحيات محلية قدمها الطلاب في بعض مدارسنا، وكان حقي احد اولئك، الطلاب وقد ترك المدرسة عام ١٩٢٤ وإلتحق بوظيفة في متصرفية (محافظة) بغداد، ولكنه إستمر يمارس هوايته!

"الولد" أو الفتى الأول!

×وكان الشبلي، والهواة الذين التفوا حوله يخلطون بين السينما والمسرح في تطلعاتهم وكانت الافلام في ذلك الوقت صامتة، وكان رواد دور العرض يطلقون على بطل كل فلم اسم "الولد" يقابله الفني الاول في المسرحيات وكان يشترط في أي منهما، الفتوة وجمال الوجه، ورشاقة القامة واناقة الملبس، وكان اشهر نجوم "هوليوود" هو الممثل "رودولف فالنتينو" الذي احدثت وفاته في نهاية العشرينيات، ضجة في اوساط مشاهدي افلامه! فكان هو قدوتهم في لباس وحركات، وتصفيف شعر!

×وكان حقي الشبلي هو الولد والفني الاول بشبابه وحسن تقاطيع وجهه اضافة الى انه كان بطل المسرحيات التي قدمها على مسرح المدرسة، ثم كان كذلك في مسرحيات فرقته "الفرقة التمثيلية الوطنية" المؤسسة عام ١٩٢٧ وقد جاءت فرقة فاطمة رشدي الى بغداد بعد ذلك بسنتين أي عام ١٩٢٩!

لقاء..فحب!

×وكان من الطبيعي ان يتصل "ولد المسرح العراقي" وفتاه الاول بت "صديقة الطلبة" فاطمة رشدي التي كانت تقيم حفلات تمثيلية خاصة لهم باسعار مخفضة فصار اسمها لايذكر في المجلات

الفنية المصرية الا وقد سبقه لقبها كصديقة لهم".

وكان حقي وهو في ريعان شبابه أشبه بطالب في احدى الكليات، وكان يجيد الكلام باللهجة المصرية الدارجة، إذ تابع المسرحيات الشعبية المصرية التي عرضتها بعض الفرق التي جاءت من القاهرة ، كما شارك في المسرحيات التي قدمتها "فرقة جورج ابيض" التي عملت في بغداد عام ١٩٢٦، وكان وثيق الصلة بالمصريين العاملين في العراق، على قلتهم في حينه!

وهكذا نشأت علاقة "إستلطاف" بين الاثنين على طريقة الافلام يومها لقد احبت "البنت الولد" ويمكن القول انهما إكتفيا بما نعما به من الخيالات في علاقة "رومانسية" علما بأنهما عرفا واقع العلاقات بين المرأة والرجل ليس بحكم عملهما في المسرح فحسب وانما ايضا لأن فاطمة رشدي كانت ذات بعل، وكان حقي الشبلي يستعين بهاويات التمثيل من العاملات في الملاهي الليلية!

وبسبب عدم رسو العلاقة بينهما عند نقطة معينة فقد سافر الشبلي الى مصر، إرضاء لعواطفه اولا، وإرضاء لهوايته المسرحية ثانيا، فمصر كانت تحمل راية المسرح العربي، وكانت التمثيل فيها حرفة، وليس هواية كما كان شأنه في العراق وغيره من الاقطار العربية! إضافة الى ان الحركة المسرحية في مصر كانت وثيقة الصلة بالمسارح الاوروبية ، وكانت "دار الاوبرا" في القاهرة تستقبل في كل سنة بعض الفرق المسرحية الفرنسية والانكليزية!

السفر الى باريس!

ولم تطل اقامة الشبلي في القاهرة اذ عاد الى بغداد ليستأنف نشاطه الفني ، ويتحدث عن زيارته لمصر، وكأنها فنية بحتة –والجديد الذي جاء به صار يلقي المنلوجات المصرية المرحة بين فصول المسرحيات التي يقدمها ومنها منلوج:

ليل أو نهار..نهار او ليل

ما في غير، حديث الخيل!

ويومها كانت سباقات الخيول في مصر والعراق ، وتديرها شركات اجنبية تهدف الى الحصول على اكثر الارباح، ولا علاقة لها بالفروسية وتحسين الخيول العربية.

وكانت الحفلات المسرحية عندنا قليلة، وكان المألوف تقديم أكثر من مسرحية خلال ليالي تلك الايام، وهكذا تحل المسرحيات محل الرقص والغناء!

هذا إضافة الى مسرحيات كانت تقدم في حواضر بعض الالوية –المحافظات – وفي عدد من الاقضية لمنفعة الطلاب الفقراء، واخرى لمنفعة عوائل شهداء الجيش، والشرطة، ذلك لأنه لم تكن لمراتب الجيش والشرطة رواتب تقاعدية.

ومع حلول الثلاثينيات وقع الاختيار على الشبلي ليكون العراقي الاول الذي ترسله وزارة المعارف (التربية الان) لدراسة التمثيل في باريس!

معهد الفنون الجميلة

وتعرفت على حقي الشبلي بعد عودته الى بغداد، وعمله في معهد الفنون الجميلة وكان يحتل بناية – بيتا –يقع في البتاويين وقام بتعريفي عليه مساعده الفنان المرحوم عبد الله العزاوي، ولم اجد فيه ما يغريني بجعل علاقتي به تتجاوز اللقاءات العابرة، فقد لمست فيه انه قد تقمصته مهنة التمثيل فصار يمثل حتى وهو يجلس وراء مكتبه في المعهد، ثم في دار الاذاعة!

واعتقد ان ذلك قد استنفد طاقته كممثل، فلم يكن عند مستواه المرجو عندما ظهر في بعض الافلام كما لم يحاول الظهور على المسرح واكتفى بتدريس المسرح، ثم الاخلاد الى الراحة في نقابة الفنانين حتى يومه الاخير في هذه الدنيا رحمه الله واحسن اليه.

الشبلي والمرأة!

ولنعد الى البداية بعد استطراد لابد منه، فأسأل: هل كان الشبلي ممن اشتهروا في الميدان الذي اشتهر فيه كثرة من الممثلين أي التشبيب بالنساء وتعدد زيجاته؟

لا أبدا، اذ لم يتزوج الا مرة واحدة من امرأة تركية، ولم يستمر زواجه بها الا بضعة اشهرن ثم انفصلا بالطلاق، وظل الشبلي عزبا حتى وفاته رحمه الله وغفر له ولنا!

مجلة قرندل 1954

مكتبات

وخيرُ جليس في الزمان كتابُ

عبد الحميد الرشودي

لم اكن غريبا عن الكتاب ولم يكن الكتاب عني غريبا، فقد فتحت عيني - حين فتحتها - على خزانة كتب كان والدي -رحمه الله -قد اقتناها وهي تتكون من عدة رفوف لها بوابة ذات مصراعين وكثيرا ما كنت افتح بوابتها واجيل الطرف في رفوفها مبهورا، وحين كنت ارى والدي وقد جلس ارضا تحت المصباح النفطي وقد اسند ظهره الى الجدار واستغرق في القراءة اتمنى ان يأتي اليوم الذي اكون فيه قادرا على قراءة هذه الكتب والانتفاع بما فيها من العلوم والمعارف وشد ما سروري يزداد حين يكلفني والدي باعادة كتاب الى الخزانة او جلب غيره بعد ان يصفه لي وصفاً كاملاً (جلده كذا وحجمه كذا) فاعود اليه بالكتاب المطلوب، وقد ملأ السرور جوانحي وطفح البشر على قسماتي.

وحين انتقل الوالد الى رحمة الله اضطرت العائلة تحت وطأة الحاجة ان تبيع شطرا من هذه المكتبة وخاصة كتب الفقه والتفسير والحديث والعقائد وقد استخلصت لنفسي الكتب النحوية والادبية والبلاغية والتي اصبحت بعد ذلك نواة فما ضننت به من تلك الكتب شروح الفية ابن مالك الاشموني والخضري والمكودي بطبعاتها الاولى ذات الورق الاصفر وكذلك من الكتب الادبية التي احتفظت بها معاهد التنصيص للعباسي والطراز في البلاغة للعلوي اليماني وديوان المتنبي بشرح البرقوقي في طبعته الاولى عام ١٩٣٢ ومن الكتب التاريخية ثلاثة اجزاء من تاريخ ابن خلدون وجزء يضم تعليقات الامير شكيب ارسلان عليه ومن كتب التفسير احتفظت بالكشاف للزمخشري ومن الحديث باجزاء من صحيح البخاري وغيرها من الكتب التي تلائم هوايتي وهي تمثل الجانب الطارف منها -فقد بدأت عام ١٩٤٣ عندما دخلت مدرسة متوسطة الكرخ فقد لمحت ذات يوم بيد احد زملائنا ديوانا ضخما فطلبته منه وتصفحته فاذا به ديوان الرصافي (طبعة بيروت عام ١٩٣١) فسألته متعجبا من اين لك هذا (يا عبد الغني) فقال انه يعود لاخيه الاكبر وانه اشتراه من سوق السراي فازمعت امري وصممت على اقتناء نسخة منه وقد وجدتني ذات يوم ادخل سوق السراي وفي جيبي دينار واحد فما كنت اخطو عدة خطوات حتى وقفت امام مكتبة تحمل اسم (الاصلاح) لصاحبها صادق الشكرجي وكان رحمه الله بدينا انيقا يبدو لرائيه وهو ببدلته البيضاء وحمائل سروالة وربطة عنقه الحمراء، وكأنه طبيب جراح او صيدلي فجمعت شتات شجاعتي وسألته هل عندكم ديوان الرصافي؟ فاجاب نعم ثم التفت الى احد الرفوف وقدم لي نسخة مجلدة تجليدا افرنجيا ومذهبة فسألته عن ثمنها فقال لي (٨٠٠) فلس فنقدته الدينار واعاد لي ريالا (وحدة نقدية تساوي ٢٠٠ فلس) ولاتسل عن سروري الغامر حين ظفرت بهذا الديوان فاتخذته محرابا اتعبد بتلاوة قصائده حتى استظهرت اكثرها وازداد اعجابي بالرصافي وبروحه الوطنية ومشاعره الانسانية ولعل سر ولوعي بادب الرصافي واهتمامي باثاره واخباره يعود الى هذا الديوان فأنا واياه كما قال الشاعر:

اتاني هواها قبل ان اعرف الهوى
فصادف قلبا خاليا فتمكنا

وقد علمت بعد ان اخذت اتردد على سوق السراي، واطلعت على دخائله ان (صادق الشكرجي) كان مختصا ببيع القرطاسية وانه نادرا ما يتجر بالكتب ولكنها المصادفة التي ساقت هذا الفتى الساذج فأوقفته عند حانوت هذا الرجل فلم يخب مأموله فحصل على بغيته وطلبته بلمح البصر وعاد الى داره فرحا جذلا وكأنه عثر على كنز من كنوز سليمان..

كان باعة الكتب انماطا اعاجيب منهم السهل السمح ومنهم المماكس المغالي ومن الذين اذكرهم بخير ولمست فيهم مروءة وسماحة المرحوم نعمان الاعظمي (صاحب المكتبة العربية) فقد اتيته يوما لشراء كتاب (العقد المفصل) للسيد حيدر الحلي فسألته عن ثمنه فقال لي (٣٠٠) فلس وبما انك طالب ادب فتشجيعاً لك هات ربع دينار فأخذته شاكرا له هذه الاريحية..

ومن اولئك الكتبيين الذين تركوا اثرا طيبا في نفسي المرحوم قاسم محمد الرجب صاحب مكتبة المثنى فما اشتريت منه كتابا الاواجرى عليه خصما مناسبا ولم اكن اعرف يومئذ هذا الاسلوب في البيع. وان انسى لا انسى المرحوم محمود حلمي صاحب المكتبة العصرية فقد وجدت فيه طيبة وسماحة وقد ادركته في سنيه الاخيرة.

لقد اصبح سوق السراي نزهتي المفضلة الم به كلما توفر لدى شيء من النقود فقد كانت الكتب يومئذ زهيدة الاثمان واذكر اني اشتريت كتاب (صندوق الدنيا) لابراهيم عبد القادر المازني باربعين فلسا وكانت المجلات القديمة وخاصة مجلة الرسالة والرواية والثقافة مطروحة ارضا وقد وقف عليها من ينادي باعلى صوته العدد بعشرة فلوس فاستطعت ان اقتني منها اعدادا وفيرة هي اليوم قرة عيني وبهجة قلبي.

واذكر ان مجلدات من الجرائد العراقية القديمة قد طرحت للبيع عن طريق المزايدة وقد علمت انها تعود للمربي الاستاذ ساطع الحصري بعد ان اسقطت عنه الجنسية العراقية وقد ظلت ايدي الباعة تتعاور صحفه وكتبه مدة طويلة تارة عن طريق المزايدة واخرى عن طريق المساومة.

وقد ازدادت خبرتي بسوق الكتب وباعتها فلم يعد سوق السراي يشبع رغباتي فقد عثرت ذات يوم على قائمة كتب للمكتبة العربية في القاهرة وفيها تعليمات لمن يرغب في اقتناء كتبها بالاسعار المدونة ازاءها على ان ترسل اثمانها سلفا مع قائمة الطلب فزينت لي سذاجتي ان احول بعض الدنانير العراقية الى جنيهات مصرية فوضعتها داخل رسالة مع قائمة باسماء الكتب التي طلبتها وارسلتها بالبريد العادي وشد ما كان عجبي حين جاء ساعي البريد (عباس) الموزع الوحيد في الكرخ وهو يحمل رزمة من الكتب ومعها رسالة بالحساب وقد بقي في ذمتي شيء من الحساب فأبردت له شاكرا صدقه وامانته وارسلت اليه المبلغ المطلوب مع قائمة جديدة بكتب اخترتها واني ما زلت احتفظ برسائل هذا الرجل الشهم محمد احمد برغم مضي اكثر من اربعين عاما عليها اسبغ الله عليه ثوب العافية ان كان في المنتظرين وتغمده برحمته ان كان سبقنا الى لقاء وجه ربه الكريم..

وحين اصبح لي مورد ثابت من المال خصصت شطرا منه لاقتناء الكثير فقد عينت معلما في مدرسة التفيض عام ١٩٥٢ وبذلك ازدادت قدرتي على الشراء..

بدأت اول الامر بجمع كتبي في زاوية ثم ضاقت فاشتريت (دولابا) من سوق الهرج فاختنق بعد مدة من الزمن فخصصت لها غرفة صغيرة من غرف الدار ثم ضاقت كما ضاق قبلها (الدولاب) ومن رأيي في المكتبة والانتفاع بها يجب ان تكون في متناول طالبها فاذا كدست ونضد بعضها فوق بعض فقد صارت مخزنا وعندئذ يتعذر الانتفاع بها لذا رأيت ان اركنها في رفوف متوازية بحيث تكون جميعها تحت نظري وفي متناول يدي فان من عادتي اذا قرأت كتابا وخامرني شك في نص من نصوصه ان ارجع الى مظانه لاقارن بين ما اورده المؤلف وماهو مدون في المصدر المنقولة منه تلك النصوص وكثيرا ما كنت اقف على فروق واختلافات مما وقر في نفسي ان اكثر المؤلفين تعوزهم الدقة واحيانا الامانة او ان بعضهم يرجعون الى مصادر ثانوية ويوهمون القارئ بأنهم استقوا من الاماكن الاصلية وذلك بسبب الكسل او التسرع وايثار الميسور على المعسور..

ومن الوفاء ان نذكر للدار الوطنية في العراق فضلها السابغ على الثقافة فقد درجت على دعم الكتاب طباعة ونشرا وتوزيعا وان معارضها التي اقامتها قبل سنتين فنازلا - ولا اقول فصاعدا - قد ساعدت كثيرا من هواة الكتب على تكوين مكتبات عامرة بيسر وسهولة واسعار معتدلة..

ان الكتاب مثله مثل الكائن الحي يعتريه من اسباب المرض والعطب ما يعتري الانسان. فالارضة هذه الدابة الرهيبة الفتاكة - على ضعفها وصغر حجمها -عدو مبين لم ينج منها حتى منسأة سيدنا سليمان فاذا اخذت طريقها الى المكتبة فاقرأ على كتبها سورة الفاتحة.

وكذلك المستعير الذي يلتوي بالكتاب حين يطلبه ولايعيده الى صاحبه ويعتذر باعذار باردة واهية مما جعل بعض اصحاب الكتب يضنون بكتبهم ولايعيرونها خشية ضياعها وقد رأيت بعض اصحاب المكتبات الخاصة قد كتب على كل كتاب من كتبه المهمة هذين البيتين.

اذا استعرت كتابي وانتفعت به
احذر وقيت الردى من ان تؤخره
واردده لي سالما اني شغفت به
لولا مخافظة كتم العلم لم تره

وبرغم انني اكتويت بنار الاستعارة وفقدت مني كتب نفيسة فاني لا اشايع الرأي القائل: ان الغبي من يعير كتابا والاغبى منه من يعيده.

ففي هذا قطع لسبيل الاحسان فكل كتاب تستطيع ان تصل اليه يدك فتقتنيه بل من الكتب ماهو نادر مفقود لذا فاني مع الرأي القائل بأن "زكاة الكتاب اعارته" على ان يعرف المزكي من يستحق الزكاة: فيشكرها ولايكفرها..

ان مكتبتي على صغرها وبساطتها - هي واحتي في صحراء الحياة أوي الى ظلالها الوارفة وقطوفها الدانية وجدولها العذب النمير كلما امضني لهيب الهاجرة أو حزبني امر من امور هذه الدنيا - وما اكثرها - فاجد فيها روحا وريحانا ثم استغرق بين سطورها في حلم صوفي سعيد لايوقظني منه الا عندما اجد النعاس قد عقد اجفاني واخذ رأسي يهوم واحيانا يسقط الكتاب من يدي من شدة الاعياء ولله در الشاعر الذي وصف الكتاب بهذا الوصف الذي جمع فأوعى وهو مما انشده ابن الاعرابي (معجم الادباء ٨/٧)..

لنا جلساء ما نمل حديثهم
الباء مأمون غيبا ومشهدا
يفيدوننا من علمهم علم من مضى
وعقلاً وتأديباً ورأياً مسددا
فلا فتنة نخشى ولاسوء عشرة
ولا نتقي منهم لسانا ولا يدا
فأن قلت: اموات فما انت كاذب
وان قلت احياء فلست مفندا

من اوراق الراحل الدكتور علي الوردي

الافندية في ماضيهم وحاضرهم

بداية الانفتاح الطبقي

"الافندي" لفظة تركية يقال ان اصلها يوناني ومعناها "السيد" وهي اذن تقابل "المستر" في اللغة الانكليزية و"المسيو" في اللغة الفرنسية ، ولكنها كانت تأتي بعد ذكر الاسم حيث كان يخاطب الرجل المحترم عادة بأن يقال له "فلان افندي".

كان "الافندية" في العهد العثماني يشكلون طبقة تتميز عن سائر الناس بصفات خاصة بها لا يشاركها فيها غيرها الا قليلا ، وكان افراد هذه الطبقة يتعالون على الناس فلا يخالطونهم الا بنطاق محدود، ولهم نواديهم الخاصة بهم واسلوبهم في الحياة.

ان الطبقة كما ورد تعريفها في علم الاجتماع هي "تلك الفئة التي تتعامل فيما بينها على اساس المساواة وتشعر بالتعالي تجاه من هو دونها، او بالضعة تجاه من هو اعلى منه"، وهذا التعريف ينطبق على فئة الافندية في العهد العثماني..فقد كانوا يستنكرون ان يروا احداً منهم يجالس عامة الناس في مقاهيهم، او يتواضع لهم، وقد ادركت في صباي بقية من ذلك العهد فكنت اشاهد الافندي وهو لايكلم الناس الا من وراء انفه، واذا راجعه احد في دائرته خاطبه بلهجة الامر، وربما طرده أو أجل قضيته الى اجل بعيد.

التقيت في الاربعينيات برجل من بقايا الافندية القدامى، فرايته يشكو ويتذمر من انحطاط وضع الافندية في زماننا هذا، وذكر كيف كان الافندي في العهد الماضي يحافظ على كرامته ومنزلته الاجتماعية فلا يخالط الرعاع من الناس او يجلس معهم او يتحدث اليهم، ثم اشار باحتقار الى ما يصنعه افندية هذا الزمان حيث اصبحوا في سلوكهم وحديثهم لايختلفون عن غيرهم من الناس.

كان الافندية لايخالطون من غير طبقتهم الا بعض الوجهاء وأبناء الاسر المعروفة، وكان هؤلاء يشعرون بالفخار لمخالطتهم الافندية ، ومن هنا جاءت الاغنية الشعبية:

رايح للميري حبي
جايي من الميري حبي

فالمغنية هنا تمدح حبيبها بانه دائب الذهاب الى "الميري" والعودة منه، وهي تقصد بـ "الميري" السراي او دوائر الحكومة التي هي مقر الافندية في عرف ذلك الزمان.

مستلزمات "الافندية"

كان للافندي في ذلك الزمان شرائط او مستلزمات ثلاثة يجب توافرها فيه لكي يكون افنديا لائقاً او كاملاً، وهي كما يلي:

اولاً: ان يكون موظفاً لدى الحكومة او ذا صلة وثيقة بدوائر الحكومة كالمحامي مثلا.

ثانيا: ان يكون متخرجا في مدرسة حديثة او في الاقل له اطلاع على بعض المفاهيم والمصطلحات الحديثة، ويتحدث بها.

ثالثاً: ان يرتدي الزي الحديث وهو ما يسمى بـ السترة والبنطلون" وذلك بالاضافة الى الطربوش الاحمر يضعه فوق رأسه.

تقليد الافندية

كان الافندية يفتخرون بما تعلموه في المدرسة من مصطلحات ومفاهيم حديثة مثل "الاكسجين" و"المقروب" و"نهر الامازون" ان معلوماتهم الحديثة كانت ضحلة طبعا لانحطاط مستوى المدارس في ايامهم، ولكنها كانت تعد عظيمة جدا بالمقارنة الى ما لدى العامة حينذاك من امية مستفحلة وجهل.

فاذا جلس الافندي في مجلس واخذ يتحدث في تلك المصطلحات الحديثة فتح الحاضرون افواههم اعجابا وربما حاول بعضهم تقليد الافندي حين يجتمعون بمن اوطأ في المعرفة منهم.

ولما كان الافندية يمثلون الطبقة العالية في المجتمع –كما اسلفنا – فلابد ان يحاول البعض من الوجهاء والعامة تقليدهم على وجه من الوجوه، ولم يقتصر تقليد الافندية على المصطلحات الحديثة كالاوكسجين والمقروب، بل تعداها الى تقليدهم في امور اخرى كلبس الطربوش الاحمر او الحذاء الحديث – أي القندرة –او الاكل بالشوكة والسكين.

وقد ظهر في بعض الاحيان صراع اجتماعي بين الذين يقلدون الافندية والذين يستنكرون ذلك ويعتبرونه خروجا عن الدين او العرف والتقاليد.

اذكر مثلا على ذلك ما حدث في احدى محلات بغداد القديمة في اواخر القرن التاسع عشر فقد كان الحذاء الشائع بين الناس حينذاك هو "اليمني" وهو حذاء احمر اللون، ولكن الافندية كانوا يستعملون "القندرة" بدلا منه وأخذ بعض العوام يقلدون الافندية في ذلك، خاصة اولئك الذين يراجعون دوائر الحكومة ، وفي ذات يوحم حدثت ضجة في احدى المحلات القديمة كان السبب ان شابا من اهل المحلة خلع "اليمني" وليس "القندرة" بدلا منه، واخذ اهل المحلة يتقولون عليه ويسخرون منه، وذهب اخوه الى عمته يشكو اليها منه ويقول لها ان اخاه سود وجه الاسرة امام الناس وطلب منها ان تنصحه وتردعه، وقد حاولت العمة نصح ابن اخيها دون جدوى اذ هو بقي مصراً على لبس "القندرة" ورفض "اليمني".

وحدثت بعد ذلك ضجة اخرى كانت اوسع نطاقا وسببها ان الافندية ومقلديهم كانوا يقولون عن المطر انه من البخار فانبرى العامة يحاربون هذا القول ويعدونه انكاراً لقدرة الله، وكتب احدهم كتابا عنوانه "السيف البتار على الكفار الذين يقولون المطر من البخار".

وكذلك حدثت ضجة اخرى حول "المقروب" فالافندية والمقلدون لهم كانوا يتجنبون شرب الماء من طاسة المقهى التي يشرب منها غيرهم او يأكلون من نفس الوعاء الذي أكل فيه غيرهم، بحجة ان فيها، "مقروبا" واخذ العوام يسخرون من هؤلاء ويذمونهم ويصفونهم بأنهم صاروا "فرمصولية" وانهم نسوا اباءهم الذين كانوا يعيشون في "السيان".

بداية الافندية

كانت بداية ظهور طبقة الافندية –بوضعها الذي ذكرناه انفاً –في العقد الثالث من القرن التاسع عشر ، في عهد السلطان محمود الثاني ، فقد كان هذا السلطان حازما يميل الى التجديد والتمدين، وفي عهده فتحت اول مدرسة حديثة في الدولة العثمانية، وكان هو

الذي فرض لبس الطربوش الاحمر على الجنود والموظفين بدلا من العمامة، وذلك في عام ١٨٢٨ ويبدو ان السلطان محمود كان يريد فرض البقعة ولكنه وجدها تمنع من السجود في الصلاة ففضل الطربوش عليها.

وتضخم تيار التجديد بعد السلطان محمود كما تكاثر فتح المدارس الحديثة في انحاء الدولة العثمانية، وكان اوائل الافندية الذين جاءوا الى العراق هم الموظفين الاتراك المتخرجين من المدارس الحديثة ، وهم جاءوا في الغالب من اسطنبول لان هذه المدينة كانت عاصمة الدولة وقد فتحت فيها اولى المدارس الحديثة.

في عام ١٨٧٠ فتحت اولى المدارس الحديثة في بغداد في عهد الوالي المجدد المعروف مدحت باشا وكانت تسمى "مكتب" وقد قوبلت بالاستنكار والتنكير من قبل العامة، وصار العوام يصفونها بانها مباءة للفساد والانحراف الجنسي، وشاعت بينهم الاهزوجة القائلة:

ذب الكتب من ايدك
شغل المكتب ما يفيدك

وظلت هذه الاهزوجة شائعة بين الناس حتى عهد متأخر، وادركها كاتب هذه السطور في صباه وكان من ضحاياها – كما اشرت اليه في مقالة سابقة لي في جريدة "العراق".

كانت المدارس الحديثة قليلة جداً في العهد العثماني ومن الممكن القول انها كانت حكرا على ابناء الافندية وبعض اصحابهم من الوجهاء والاسر المعروفة ، ولم يكن للفقراء والعوام يجرؤون ان يدخلوا ابناءهم فيها، وذلك لسببين اولهما: نظرة الاستنكار التي كان العوام ينظرون بها الى المدرسة، والثاني: يأس ابناء العوام من الحصول على الوظيفة الحكومية بعد تخرجهم في المدرسة.

كان الفرد العامي يفضل ان يعلم ابنه مهنة يدوية يكسب بها رزقه في كبره، ولم يكن احد من العوام يحلم ان يكون ابنه افنديا في يوم من الايام واذا ساعدت الظروف احد ابناء العوام على ان يكون افنديا يلبس الطربوش والزي الحديث صار موضعا للاستغراب ، وربما الاستنكار في نظر الكثيرين ولا سيما في نظر زملائه الافندية فهم لاينسون ماضيه "الوضيع".وقد يشتمونه به في ساعة الخصام.

وما زلت اذكر بيتا من الشعر كان بعض الناس يرددونه بينهم في العشرينيات من هذا القرن هو:

من تردى برداء ليس من شأن ابيه
سوف يأتيه زمان يتمنى الموت فيه

ان الانغلاق الطبقي الذي كان سائدا في العراق بالعهد العثماني – على الذي ذكرناه انفا – لم يكن في مقدوره ان يبقى على حاله تجاه تيار الحضارة الحديثة الذي بدأ يتسرب الى المجتمع منذ اواخر القرن التاسع عشر.

اول سبب نحو الانفتاح الطبقي ظهر في عهد السلطان عبد الحميد الثاني.. فقد كان هذا السلطان بالرغم مما اشيع عنه يميل الى التجديد، غير انه كان يحب التجديد على طريقة التدرج البطيء.. وهي الطريقة التي كان يسميها "يواش يواش" أي خلاف طريقة الطفرة التي كان يؤمن بها مدحت باشا.

×××

امر السلطان عبد الحميد بفتح مدارس داخلية عسكرية في مختلف الولايات العثمانية وكان التلاميذ الذين يقبلون في هذه المدارس يعيشون على نفقة الدولة.. حتى اذا تخرجوا فيها سفروا الى اسطنبول ليدخلوا الكلية الحربية فيها ويتخرجوا فيها ضباطا في الجيش العثماني.

كانت هذه المدارس منفذا استطاع بعض ابناء العوام ان يدخلوا سلك الافندية عن طريقها ومن الجدير بالذكر ان الوجهاء والاسر المعروفة لم يكونوا يرغبون ان يدخلوا ابناءهم في هذه المدارس بل كانوا يفضلون ادخالهم في المدارس "الملكية" أي المدنية، فالمدارس العسكرية كانت داخلية، وكان الوجهاء يخشون على ابنائهم من الدخول فيها، كما كانوا يستنكرون من ان يعيش ابناؤهم على نفقة الدولة.

فتحت اول مدرسة عسكرية في بغداد عام ١٨٧٩ وكان عدد تلاميذها ثلاثة عشر وكان مقرها قرب سواق السراي في البناية التي ما زالت قائمة وكانت داراً للمحاكم في عهد مضى. وعندما تخرج تلاميذها منها في عام ١٨٨١ سفروا الى اسطنبول على ظهور الخيل والبغال، واخذ عدد تلاميذها يزداد سنة بعد سنة، وكان يجري تسفيرهم كل سنة على التوالي.

في عام ١٨٩٩ جرى تسفير الدفعة التي كان من تلاميذها ياسين حلمي وهو الذي عرف فيما بعد باسم ياسين الهاشمي" وكان ابوه مختارا لاحدى محلات بغداد القديمة، وبعد اربع سنوات جرى تسفير الدفعة التي كان فيها اخو ياسين أي طه الهاشمي يحدثنا علي جودت الايوبي في مذكراته، وكان من جملة التلاميذ الذين جرى تسفيرهم في عام ١٩٠٣ مع طه الهاشمي، فيقول:

انهم وصلوا الى حلب بعد رحلة على ظهور الخيل استغرقت ٢٥ يوما وكان عددهم نحو سبعين تلميذا وبعد ان مكثوا في حلب اسبوعا تحركوا في قافلة نحو الاسكندرية فوصلوها بعد اربعة ايام ، وقد شاهدوا في تلك المدينة اول مرة في حياتهم مسارح ترقص وتغني عليها يونانيات ثم ركبوا باخرة اوصلتهم الى اسطنبول وقد استغرقت رحلتهم من بغداد الى اسطنبول ٤٥ يوماً ويقول الايوبي انهم وجدوا في اسطنبول اكثر من سبعمئة تلميذ من الولايات العثمانية التي فيها مدارس عسكرية بغية الدخول في الكلية الحربية، وقد جرى امتحان القبول لهؤلاء التلاميذ.

بلغ عدد التلاميذ العراقيين في الكلية الحربية في اواخر العهد العثماني نحو خمسمئة ، بينما بلغ عدد العراقيين الذين يدرسون على نفقة اهلهم في الكليات الاخرى كالحقوق والطب نحو خمسين ، ان المقارنة بين هذين الرقمين تدل على ان الذين كانوا يدرسون على نفقة الدولة كانوا في الغالب من ابناء الطبقة الفقيرة والوسطى، ومعنى هذا ان المدارس العسكرية كانت عاملا مهما من عوامل الانفتاح الطبقي، لان الذين تخرجوا في الكلية الحربية قد اصبحوا من الافندية ونال بعضهم المناصب العليا في مستقبل الايام.

كان من بين الذين تخرجوا في الكلية الحربية ياسين الهاشمي واخوه طه، وهما كما ذكرنا ابنا مختار محلة من محلات بغداد القديمة، وكذلك كان من بينهم علي جودت الايوبي وكان ابوه عريفا في سلك الجندرمة في الموصل، وكان من بينهم نوري السعيد وكان ابوه موظفا صغيرا، وجعفر العسكري وكان ابوه ضابطا اصله من قرية عسكر في شمال العراق.

نكتفي بهذا القدر من الحديث عن تاريخ الافندية في العراق.

ذكريات

عبد الكريم الحاج قدوري مع الطباعة

شهاب الحميد

عبد الكريم الحاج قدوري اسم عرفه العاملون الرواد بصناعة الطباعة في العراق، فقد عمل في مطبعة الولاية ببغداد حين كان موقعها بمدرسة الصنائع وله عنها ذكريات قال عنها في بداية حديثنا معه:

–اشتغلت فيها مدة ثلاثة ايام فقط قبل احتلال الانكليز بغداد، كان فيها رئيس مرتبين اسمه "خضير افندي" من منطقة حمام المالح. اعطاني مقالة طويلة لترتيبها وعندما انجزتها قام بتصحيحها من جديد لانني اخطأت في شكل الاخراج. كان عصبي المزاج ويتمتع بكفاءة عالية بحيث كان يستخدم الباء الوسطية باشكال عديدة ، لقد استفدت من ملاحظاته رغم لهجته الحادة.

× ويتذكر ايضا:

–مطبعة الشاهبندر استولى عليها الانكليز عند احتلالهم بغداد، وكان اول عهدي بالطباعة في مطبعة الاداب التي كان يديرها المرحوم يوسف فرنسيس وكانت بعقد النصارى.

حين فاتحه شقيقي حول اشتغالي اعتذر في بادئ الامر لصغر سني ولكن الحاحي الشديد جعله يقبل عملي دون اجر لمدة ستة اشهر ، كنت اتحمس للعمل فيها وكثيرا ما كنت احلم بالمسودات وصناديق الحروف "والكركدانات" اللامعة التي لم يسمح لي بعض القدماء من العمال من لمسها اطلاقا.

كان اول راتب تقاضيته من المطبعة مقداره ثلاثة مجيديات. وهو مبلغ كبير بالنسبة لي فرحت كثيرا عند تسلمه.

× ويواصل السيد عبد الكريم قدوري صاحب مطبعة المعارف حديثه قائلاً:

–حين اندلعت الحرب العالمية الاولى اغلقت مطبعة الاداب ابوابها وقادتني ظروف العائلة والبلد الى الاشتغال صفارا مع ابن خالي وتركت الدراسة برغم اني كنت من الطلبة الاوائل في المدرسة.

وبعد ان عادت الحياة الطبيعية الى بغداد بدأت مرحلة جددية من حياتي حيث اشتغلت مرتبا للحروف في مطبعة العراق لصاحبها رزوق غنام، براتب شهري مقداره ٧٥ روبية وما زلت احمل ذكريات جميلة عن الاب انستاس ماري الكرملي ومجلته "لغة العرب" التي كنت ا رتبها ، ثم رشحني سعيد الطريحي صاحب مطبعة دار السلام عام ١٩٢٣ للعمل رئيسا للمرتبين في مطبعة الدار الحديثة للطباعة لصاحبها سليم حسون براتب شهري مقداره مئة ورابعين روبية.

الا ان عملي في هذه المطبعة لم يدم طويلاً بسبب حادثة وقعت بيني وبين المرحوم سليم حسون، عزمت على اثرها على تأسيس مطبعة بمفردي. ولكن تأخر تنفيذ الفكرة زمناً بسبب سيطرة اليهود انذاك على سوق الوكالات الخاصة بمكائن الطباعة فواحدهم كان يعرف يسلخ الجلد عن العظم في التعامل. مما دفعني الى الذهاب الى السفارة الالمانية ببغداد انذاك ومقابلة السفير مباشرة وشرح رغبتي باستيراد المكائن او الاهتداء الى الوكلاء للقيام بالمهمة فوافق متحمسا لرغبتي فطلب مني عنواني الشخصي فاعطيته عنوان احد العطارين في محلتنا.

ولم يمض شهر واحد حتى وصلتني الكتلوكات وهي حافلة بمختلف المكائن وحروفها، واخترت ماكنة واحدة تشتغل باليد وبالبخار معا. مع تشكيلة ممتازة من الحروف ، واضعاً بالحسبان جميع الظروف الطارئة.

وحين فتحت اعتمدت الاعتماد بالبنك كتمت السر في نفسي عن جميع اصحاب المهنة. وحين وصلت المكائن لم يهتد البنك الى عنواني بسبب انتقال العطار الى محل آخر. وهكذا بقيت المكائن مطروحة في الكمرك مدة من الزمن. حتى علمت بوصولها بالطريقة التي كنت اخشاها حيث اتصل احد العاملين في الكمارك بسليم حسون واخبره بوجود مكائن طباعية تحمل اسم عبد الكريم الحاج قدوري!

وفي بادئ الامر لم يصارحني مدير المطبعة يوسف ما ديك، وقد اغراني بزيادة راتبي الشهري وتحسين عملي وحذرني من مسائل العمل ومن التورط في ولوج باب المهنة هكذا. وحين تأكد من اصراري ورغبتي الملحة اعرب لي عن دعمه لمشروعي ومساعدتي في تذليل اية عقبات.

وبالمقابل اعلنت استعدادي التام للاستمرار في العمل لديه لحين تدريب العامل الذي سيحل محلي، وفعلا واصلت العمل ليلا ونهارا من اجل انشاء مطبعتي ونصب المكائن وتشغيلها.

×تلك هي خلاصة سنين طويلة من العمل في اروقة وخانات المطابع، قضاها عبد الكريم الحاج قدوري ، بجهد ومثابرة لايعرفان، التعب او الضجر ، اما حكايته الاخرى وسنوات رحلته مع مطبعة المعارف التي قام بانشائها منذ ذلك الحين. فتحتاج لمساحة اخرى للكتابة ليس من اليسير توفيرها في هذا الوقت.

وكلنا امل بان يلتقي قراء "الطباعة" معه في حديث شامل اخر على صفحات احد الاعداد.

حضيري أبو عزيز .. بلبل الريف العراقي

مطربان ريفيان ذاع صيتهما خارج العراق مبكرا على الرغم من أن أغاني الريف تكون محدودة الانتشار لصعوبة اللهجة من جهة، ولكون ألحانها بسيطة وخاصة بها من جهة أخرى.. والمطربان هما حضيري أبو عزيز وداخل حسن من محافظة الناصرية. وتتألف أغاني الريف العراقي من ٣٦ طورا غنائيا كان لحضيري أبو عزيز الحصة الأكبر في تأليفها ابتداء من أواخر العشرينيات. وحضيري بن حسن بن رهيف بن غاني المشهور في العراق والخليج والشام بـ«أبو عزيز» من عشيرة الصبورة الموجودة في مدينة الشطرة وضواحيها في محافظة الناصرية، وهو من مواليد ١٩٠٤، قتل والده بسبب تصديه لإحدى سفن المستعمرين العثمانيين التي كانت تسير في نهر الفرات فتبنته عمته ورعته خير رعاية، وتأثر كثيراً بنعيها أخاها (والده) على الطريقة الريفية، فراح حضيري يطلق العنان لصوته الجميل، وهو يجوب ريف الشطرة ما زاد من قوة صوته وأثر في حلاوته وجماله.. وعرف أهل الشطرة كلهم بجمال صوت هذا الفتى بعد أن كان يغني وهو يسرح بالماشية، او عندما يختلي بنفسه على حافة النهر وهو يردد الاغاني المعروفة ويضيف اليها نكهة صوته.. ما دعا الكثير من الفلاحين الى إطلاق لقب (بلبل الريف) على حضيري.. وبعد بروز صيته في الشطرة وانتقال ذلك الى الناصرية جاء خاله (حسين محمد) الخياط لأخذه الى هناك وكان عمره (١٦عاماً) أي في عام ١٩٢٠، وهناك أخذ يعمل معه في الخياطة ويمارس نشاطه الغنائي في المحل ما جعل الناس تتجمع أمام المحل لسماع صوته الجميل، فازدادت شعبيته وعرف على صعيد المحافظة كلها. وحين نشأت شركات تسجيل الأسطوانات في عام ١٨٧٧ راحت تبحث في الوطن العربي عن الأصوات الجميلة والمؤثرة لتقدمها في أسطوانات يسمعها الناس وتستمتع بها.. فكانت البداية في العراق مع مطربي المقام العراقي.. فسجلت لأحمد زيدان وملا عثمان الموصلي ومحمود الخياط.. وبعد بروز صوت حضيري سجلت له شركة بيضافون الألمانية ١٠ أسطوانات كل واحدة فيها (أبو ذية وبستة)، ثم جاء دور شركة سودا الوطنية التي مقرها حلب، وهناك تعرّف حضيري على أبرز نجوم الطرب العرب مثل محمد عبدالوهاب ووديع الصافي.. وقد كانت أهم تجربة في حياته، إذ من خلالها عرفه الناس في أرجاء الوطن العربي.. ومن خلال هذه الشركة قدم حضيري مع داخل حسن أغنيات الثنائي. بعد تطوعه في الناصرية بصفة شرطي وانتشار اسمه كمطرب ريفي مرموق تم نقله الى دار الإذاعة العراقية بعد تأسيسها بقليل، ليكون أول مطرب ريفي يغني فيها، وقد تحقق الامر بمساعدة ابن ولايته الشاعر ووزير المعارف آنذاك محمد رضا الشبيبي الذي يعد صاحب الفضل الأول في ذيوع وتطور الغناء الريفي في العراق. وعلى غرار الأفلام المصرية التي ضمت مجموعة من المطربين قامت شركة الرشيد بإنتاج فيلم عراقي مصري مشترك يجمع مابين الغناء والتمثيل، وكان ذلك في العام ١٩٤٦ اسمه (ابن الشرق)، سيناريو وإخراج إبراهيم حلمي، وبطولة شاب عراقي يدرس في مصر هو عادل عبدالوهاب، وشاركت معه مديحة يسري وبشارة واكيم الى جانب الفنانة المطربة والممثلة نورهان والمطرب حضيري أبو عزيز الذي غنى في الفيلم أغنيته المشهورة (عمي يا بياع الورد).. ولم يشارك حضيري في فيلم آخر غير هذا.. ويعد حضيري من أهم مطربي الأغنية الريفية لما يتمتع به من ميزات قلما تجدها لدى غيره، حيث كان يشكل مدرسة غنائية متكاملة ويجيد الأطوار الغنائية كافة الى جانب إضافته لها.. ويتمتع بصوت جميل أخاذ إضافة إلى إجادته جميع الأنغام الموسيقية والتلوين الادائي.. من أبرز الاطوار التي كان يجيدها طور «الحياوي» الذي يقرأ بستّة ألوان في حين يقرؤه حضيري بلون سابع أضافه إليه. واصبح يسمى (طور حضيري-حياوي) وسجله في الاذاعة العراقية وطور «الشطراوي» الذي يقرأ بلونين قديم وجديد في حين يقرؤه حضيري بطريقة جميلة وجديدة، ما زاد من حلاوته وجماليته وقام بتسجيله لشركة جقماقجي. وطور «الغافلي» الذي ابتكر له حضيري أبو عزيز لوناً خاصاً خلصته من شوائب الحزن وسجله لشركة بيضافون. وطور «المجراوي» الذي غناه حضيري بطريقة تختلف عن الطريقتين المعروفتين، ما يعد إضافة نوعية للغناء الريفي، وسجله لشركة بيضافون.. وكذلك قرأ وطور بقية الاطوار مثل العنيبي والشجي والعياش والمنصوري والشطيت واللامي الذي أدخل عليه نغم الدشت فزاده حلاوة رغم تأثره بطريقة القبانجي. رحل الفنان حضيري أبو عزيز في ١٩٧٢/١/٢٥ تاركاً وراءه مكتبة ثرية من الأغاني الريفية الجميلة التي تشكل زاداً كبيراً للإذاعات العراقية والعربية ولمحبي فن الغناء الريفي.. وقد أقيم له حفل تأبيني ضخم تقدمه الفنان الكبير محمد القبانجي الذي ألقى كلمة بليغة بحق الفنان حضيري، كما رثاه العديد من الشعراء.

ذاكرة عراقية

ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون

رئيس مجلس الإدارة رئيس التحرير
فخري كريم

التحرير : علي حسين
التصميم : نصير سليم التصحيح اللغوي : يونس الخطيب